الفصل الثاني

دور القرضاوي في تأصيل الوسطية وإبراز معالمها

١- مفهوم الوسطية ودلالاته عند القرضاوي .
٢- لماذا اختار القرضاوي الوسطية ؟
٣- أهم العوامل التي قادت الشيخ إلى الوسطية .
٤- الوسطية في كتب القرضاوي .
٥- مزايا الوسطية وفوائدها ومعانيها عند القرضاوي .
٦- مظاهر الوسطية في الإسلام كما يراها القرضاوي .
٧- الوسطية في شعر القرضاوي .
٨- آليات تنفيذ الوسطية عند القرضاوي .
٩- القرضاوي ومركز دراسات الوسطية .
١٠- هل الوسطية عند القرضاوي تعني التنازل؟
١١- هل الوسطية ملازمة للقرضاوي مطلقا؟
١٢- لماذا تبنى القرضاوي تيار الوسطية الإسلامية؟
١٣- الصفات المميزة لتيار الوسطية عند القرضاوي .
١٤- القرضاوي يرى انحسار الوسطية في بعض الفترات .
١٥- معالم الوسطية ونشأتها عند القرضاوي .
١٦- المدرسة الوسطية وخصائصها كما يراها القرضاوي .
١٧- نماذج من وسطية القرضاوي .
١٨- نماذج من فتاوى الشيخ في ضوء الوسطية .
١٩- روافد الوسطية عند القرضاوي .
٢٠- الشهادة للقرضاوي بالوسطية .

دور القرضاوي في تأصيل الوسطية

الشيخ القرضاوي عالم موسوعي ، وهو رجل بأمة ـ أحسبه كذلك ولا أزكيه على الله تعالى ـ وقد استطاع الشيخ أن يجمع ميزات كثيرة ، ومواهب متعددة ، كفيلة أي واحدة من هذه الميزات أو المواهب ؛ أن تجعل منه علما يشار إليه بالبنان ، فهو : الفقيه والمحدث ، والعالم والداعية ، والمربي والمرشد ، والشاعر والناثر ، والمحاور والمناظر ، والمفكر والمثقف ، والناقد والموجه .

والشيخ لا يقف عند الماضي ، أو حتى الحاضر الذي يعيشه ، بل كما يستوعب الماضي يعيش الحاضر ويستشرف المستقبل ، ويمزج الشيخ في دعوته بين التنظير والتطبيق ، وهذا يجعلنا نقول : إنه داعية بالفطرة ، أحب الدعوة ، ثم تمرس بها فأصّل وقعّد ، حتى بات هناك مصطلحات ومفاهيم من الممكن أن تسمى بحق : ألفاظ ومفاهيم قرضاوية ، منها : فقه الموازنات وفقه الأولويات ، فقه المآلات ، وفقه المقاصد ، وفقه الاختلاف ، وفقه آيات الله في الكون والمجتمع والأسرة ، وجيل النصر المنشود .

ومنها كذلك : مفهوم الوسطية ، . . . . وغيرها من المصطلحات والمفاهيم .

وما يعنيني هنا : هو مصطلح (الوسطية) الذي عُرف به الشيخ .

(١)

مفهوم الوسطية ودلالاته عند القرضاوي

الوسطية عند الشيخ القرضاوي ـ كما ذكرت سابقا ـ تعني : التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين ، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ، ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ، ويطغى على مقابله ويحيف عليه [١].

إنها : منهج وسط ، لأمة وسط ؛ منهج يتميز بالتوازن ، فهو يوازن بين الروح والجسد ، بين العقل والقلب ، بين الدنيا والآخرة ، بين المثال والواقع ، بين النظر والعمل ، بين الغيب والشهادة ، بين الفردية والجماعية ، بين الاتباع والابتداع [٢].

ووسطية الشيخ تظهر حتى في عناوين كتبه ، فهو يتخذ موقفاً وسطاً بين طرفين ، بين الغالين والمقصرين ، بين المتشددين والمتساهلين ، وقد زادت هذه الكتب « البينية » عن العشر كتب وهي :

١- الفتوى بين الانضباط والتسيب .

٢- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد .

٣- الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط .

٤- الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة .

٥- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .

---

(١) انظر : الخصائص العامة للإسلام القرضاوي ص ١١٥.

(٢) انظر : كيف نتعامل مع السنة النبوية ص ٢٤.

٦- الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير .

٧- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .

٨- الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه .

٩- النقاب للمرأة يبين القول ببدعيته . . والقول بوجوبه .

١٠- الجويني إمام الحرمين بين المؤرخين الذهبي والسبكي .

١١- ثقافتنا بين الانغلاق والانفتاح .

وقد لاحظ بعض الدارسين هذا على كتابات الشيخ ، بل إن الشيخ يسعى إلى تكوين جمعية ثقافية أسماها « جمعية الأمة الوسط في الفكر والثقافة »[1].

وليست هذه (البينية) التي ظهرت في عناوين كتب الشيخ ؛ تدل كلها على الوسطية التي نريدها ، أو التي يدعو إليها الشيخ ويتبناها ، فمثلا : كتاب الشيخ : (الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه) هذه البينية ليست من الوسطية في شيء . وإنما هي عرض لرؤية المادحين المبالغين ، والناقدين المفرطين . وإن كان الشيخ قد وقف موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء ، ومن هنا تكون الوسطية .

وكذلك كتابه : (الجويني إمام الحرمين بين المؤرخين الذهبي والسبكي) ليست البينية هنا وسطية ، وإنما عرض نظرة كل من الذهبى والسبكي عن الجويني رحمة الله على الجميع .

ولقد ظهرت هذه الوسطية بمعناها الحقيقي ، ومفهومها الأصلي في كتابات الشيخ ، كما هو واضح في « أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة » وفي « في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة » و« الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي » و« مستقبل الأصولية الإسلامية » و« الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد » . . . . وغيرها .

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٦١.

وكانت الوسطية التي تبناها الشيخ ؛ جبهة من الجبهات التي تبنى العمل لها ، في دفاعه عن السنة النبوية ، ويشير إلى هذا بقوله : فهناك التحريف الذي يأتي عن طريق الغلو والتنطع ، والتنكب عن الوسطية التي تميز بها هذا الدين ، وعن السماحة التي وصفت بها هذه الحنيفية ، وعن اليسر الذي اتسمت به التكاليف في هذه الشريعة .

وهناك الانتحال الذي يحاول به أهل الباطل أن يدخلوا على هذا المنهج النبوي ما ليس منه ، وأن يلصقوا به من المحدثات والمبتدعات ما تأباه طبيعته ، وترفضه عقيدته وشريعته ، وتنفر منه أصوله وفروعه .

وهناك سوء التأويل الذي به تشوّه حقيقة الإسلام ، ويحرّف فيه الكلم عن مواضعه ، وتنتقص فيه أطراف الإسلام ، فيخرج من أحكامه وتعاليمه ما هو من صلبه ، كما حاول أهل الباطل أن يدخلوا فيه ما ليس منه ، أو يؤخروا ما حقه أن يقدم ، أو يقدموا ما حقه أن يؤخر [1].

ولما ظهر في الآونة الأخيرة ما عرف بالشبكة العنكبوتية أو المعلوماتية «الإنترنت » عمل الشيخ متحمساً لإيجاد موقع يتحدث إلى المسلمين وإلى غير المسلمين عن الإسلام وخصائصه ، فأنشأ هو والمخلصون من إخوانه الموقع العالمي « إسلام أون لاين» «islamonline.net» وتم افتتاح هذا الموقع في يوم ٤/١٠/١٩٩٩م ، وقدم الشيخ كلمة الافتتاح أوضح فيها الملامح العشرة لهذا المشروع ، وكان من ملامح هذا الموقع : أنه يعتمد الوسطية في فهمه للواقع ، فلا يجنح إلى غلو المفرطين ولا إلى تقصير المفرِّطين [2].

وهذا يعني أن الشيخ يرى الوسطية ملمحا ظاهرا ، ومعلما بارزا في كل ما يتعلق بأمر الدين ، وكذلك الدنيا .

* * *

---

(١) انظر : كيف نتعامل مع السنة ص ٢٨- ٣٠ بتصرف .

(٢) انظر : المسلمون والعولمة ص ١٥٠،١٥١. بتصرف .

(٢)

لماذا اختار القرضاوي الوسطية ؟

لم يكن تبني الشيخ القرضاوي لمنهج (الوسطية) اعتباطا ، ولا تقليدا مجرداً لأحد ، أو اتباعا لهوى ، وإنما تبناه لما قام عنده من الدلائل الناصعة ، والبراهين القاطعة التي تدل على أن هذا المنهج هو الذي يُعبر عن حقيقة الإسلام . نعم لقد تبنى القرضاوي منهج الوسطية واختاره لعدة أسباب :

١- أن هذه الأمة هي الأمة الوسط بنص كتاب الله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣) [١].

٢-أن الوسطية السمة الأصلية للحضارة الإسلامية على مر القرون .

٣- أن الكون كله قائم على الوسطية والاعتدال .

٤- أن طبيعة الإنسان قائمة على الوسطية بين المادية والروحية ، وبين الجماعة والفردية .

٥- أن الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر ، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله [٢].

٦- أن الوسطية هي إحدى السمات الظاهرة والخصائص الواضحة في الإسلام [٣].

---

(١) من اللطائف أن هذه الآية تتوسط سورة البقرة حيث إن رقمها ١٤٣ ، وسورة البقرة آياتها ٢٨٦.

(٢) انظر : الخصائص العامة للإسلام ص ١٢١.

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٢٢.

٧- أن الوسطية أطول عمراً وأكثر بقاءً ، وأشد نفعاً من التفريط أو الإفراط .

٨- أن الوسطية هي طوق النجاة للدعوة الإسلامية ؛ بل للأمة الإسلامية كلها.[١]

٩- أن الإعراض عن الوسطية هو الهلاك بعينه والضياع في الدين والدنيا معاً سواء كان هذا الإعراض جنوحاً إلى جانب التسيب والانفلات ، أم كان الإعراض عن الوسطية جنوحاً إلى جانب الغلو والتنطع والتشدد [٢].

١٠- أن الوسطية ضرورة تحتاج إليها الصحوة الإسلامية[٣] .

وكم كان محقا الأستاذ عادل حسين حين قال : القرضاوي فقيه الوسطية في عصرنا .

* * *

(١) انظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٤١.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٢٤٢.

(٣) انظر : بحث (الوسطية ودور الإعلام في إبرازها) المقدم من الشيخ لندوة (اقرأ) الفقهية الإعلامية الرمضانية (١٤٢٧هـ) ص٢٤ ، وهو منشور على موقع الشيخ . "www.qaradawi.net ".

(٣)
أهم العوامل التي قادت الشيخ إلى الوسطية

يمكن القول بأن كثيرا من العوامل ساعدت القرضاوي في تبنيه هذا النهج ، منها ما هو شخصي ذاتي ، ومنها ما هو خارج عنه ، منها ما هو موروث ، ومنها ما هو مكتسب ، ومنها ما يتعلق بثقافته وكيفية التلقي . . . إلخ . وسأحاول أن ألقي الضوء على هذه العوامل في إلمامة سريعة .

العامل الأول : عامل أساسي «طبيعة الإسلام» :

يعد هذا العامل هو العامل الأساسي في تبني الشيخ القرضاوي للوسطية ، وقد أشار الشيخ إلى هذا فقال : هذا الطريق الذي اسمه : الوسطية الإسلامية ، وهو طريق لم نبتدعه ، فهو يعبر عن روح الإسلام ، وهو التيار الذي أعبر عنه ، وجندت نفسي في السنوات الأخيرة ، ومنذ فترة للعمل من أجله ، وهو تيار الوسطية الإسلامية .. وهذه الوسطية ليست ابتداعاً من عندي ، إنما هي روح الإسلام الحقيقي ، الذي عبر عنه القرآن ، وهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح[1] .

العامل الثاني : عامل الثقافة :

حيث عُرف الشيخ بتدبره لآيات القرآن الكريم ، وتأمله لكلمات الحديث النبوي ، وجعلهما منبعا أساسيا لثقافته ، منهما ينهل ، ومن فيضهما يغترف . إضافة إلى هذا ؛ فالشيخ قد عرف باستقرائه لأحكام الشريعة وما تحويه من مُثُل عليا ، وقيم رفيعة ، وغايات حميدة ، ومصالح أصيلة ، تشتمل على خيري الدنيا

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ ص ٤٩، ٥٠ .

والآخرة ، للفرد وللأسرة ، وللجماعة وللأمة ، وللإنسانية كلها . وهذا من أقوى الأشياء التي تدفع صاحبها لتبني منهج الوسطية في كل ما يحيط به .

العامل الثالث : عامل البيئة :

وأعني بالبيئة هنا : البقعة الجغرافية التي نشأ فيها الشيخ القرضاوي ، وهي (مصر) ، هذه البقعة التي يميل أهلها إلى التوسط والاعتدال ، التوسط والاعتدال في الحب ، التوسط والاعتدال في العبادة ، التوسط والاعتدال ربما في كل شيء .

إن كل بيئة من البيئات تؤثر لا محالة على من يعيش فيها ، وهكذا البيئة المصرية ، ولنا أن نتساءل مع الأستاذ هاني طايع ، في ورقته التي قدمها عن الشيخ بمناسبة بلوغه السبعين حيث أشار إلى عامل البيئة ثم قال : ماذا قدمت شخصية مصر لشخصية القرضاوي؟ ثم أجاب بما نقله عن الدكتور جمال حمدان ، صاحب كتاب (شخصية مصر) : إن التوسط والاعتدال من أبرز السمات العامة الأساسية في شخصية مصر ، والشخصية المصرية .. فإذا كان التوسط ألصق بالأرض المصرية ، فإن الاعتدال يتصل مباشرة بالإنسان المصري نفسه : نفسيته ، عقليته ، أخلاقياته ، شخصيته ، خامته ومعدنه ، جوهره وروحه [1] .

العامل الرابع : عامل التجربة « حسن البنا ومدرسته » :

أما العامل الرابع فهو نشأة الشيخ في دعوة الإخوان ، وهي مدرسة تعد من أقرب المدارس إلى الوسطية ، كان رائدها الأول أقرب إلى الوسطية منهجا وسلوكا ، فنشأت مدرسته وجل أفرادها على هذا النهج ، من أمثال : البهي الخولي ، والسيد سابق ، ومحمد الغزالي .

وحين يتحدث الشيخ القرضاوي عن شيخه البنا فيذكر أنه : جمع بين العلم والتربية ، ومزج بين الفكر والحركة ، وربط بين الدين والسياسة ، ووصل ما بين

---

(١) انظر : يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه ص ٨٩٩ .

الروحانية والجهاد ، وكان النموذج الحي للرجل القرآني ، والمعلم الرباني ، والمجاهد الإسلامي ، والداعية العصري ، والمنظم الحركي ، والمناضل السياسي ، والمصلح الاجتماعي [1]. وهذه الشمولية تمثل وسطية الإسلام .

ويرى القرضاوي أن « حسن البنا » رحمه الله استطاع أن يجمع في الصفوف بين السلفية والصوفية ، وأن يطعم كل واحد من الآخر ، فهو يقول معقباً على كلام الأستاذ محمد المبارك رحمه الله نسلف الصوفية ، ونصوف السلفية : وأحسب أن هذا ما حاول الإمام « حسن البنا » الذي كان يجمع - في رأيي - عقلية السلفي الملتزم ، وروحانية المتصوف المحلق [2].

وقد اعترف الشيخ بأثر البنا ومدرسته عليه في تبني النهج الوسط فقال : فهو أني نشأت في مدرسة تعمل في خدمة الإسلام ، هذه المدرسة قام عليها رجل يتميز بالاعتدال في فكره وتحركه وعلاقاته ، وذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا . . فقد كان هذا الرجل أمة واحدة في هذه الناحية ، حيث كان يتعامل مع جميع الناس حتى كان بعض مستشاريه من الأقباط ، وأدخلهم اللجنة السياسية، وكان يصطحب بعضهم في المؤتمرات ، ورأى التقارب مع الشيعة ولذلك استقبل زعماءهم في المركز العام في القاهرة « المركز العام للإخوان المسلمين » . . فهذا الاعتدال عندي من تأثري أيضاً من اتجاه حسن البنا ومدرسته [3].

العامل الخامس : عامل شخصي « شخصية القرضاوي » :

أما العامل الخامس فهو طبيعة القرضاوي نفسه ، شخصيته التي جبل عليها ، هذه الشخصية التي لا تميل - في الغالب - إلى اليمين ولا إلى اليسار ، وإنما تميل بفطرتها إلى التوازن والاعتدال ، وكثيرا ما أنكر الشيخ تبني الرأي الأشد ، أو الخط

---

(١) انظر : التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ص ٧.

(٢) انظر : الحياة الربانية ص ٢٢.

(٣) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ص ٤٩،٥٠.

المتزمت ، لذا تراه يقول : إنني أنكر التبني بصفة دائمة ومطلقة لخط التشدد والتزمت ، والتزام أشد الآراء تضييقا وأقربها إلى التعسير ، وأبعدها عن السعة والتيسير [1].

ويعلن الشيخ عن طبيعته التي تميل إلى الوسطية فيقول : إنني شخصياً ممن وهبهم الله فطرة الاعتدال والتوازن في النظر إلى الأمور : فأحب دائماً ألا أكون من المغالين إلى اليمين، ولا المتطرفين إلى اليسار وهذه موهبة إلهية . . وبعض الناس يميلون إلى التشدد ، وبعضهم يميل إلى التحلل والتسيب ، وأنا أجد نفسي دائماً في الموقف الوسط . . فهذا عامل شخصي بجوار العامل الأساسي الذي يتصل بجوهر الإسلام نفسه ، وعامل التجربة ، تجربتي في حركة الإخوان المسلمين ، وهذه هي العوامل الثلاثة التي أعتبرها مؤثرة في اتجاهي [2].

العامل السادس : معايشة علماء ودعاة يؤمنون بفكرة الوسطية :

حيث إن الشيخ عايش عددا من العلماء والدعاة ــ غير البنا ومدرسته ــ يؤمنون بفكرة الوسطية ، ويرفضون الوقوف في أحد الطرفين : يمينا أو شمالا ، مثل : محمود شلتوت ، ومحمد عبد الله دراز ، ومحمد يوسف موسى ، ومحمد محمد المدني ، ومحمد أبو زهرة ، وعبد الوهاب خلاف ، وعلي الخفيف ، ومحمد مصطفى شلبي ، وعلي حسب الله ، ومصطفى زيد ، ومصطفى الزرقا ، ومصطفى السباعي ، والبهي الخولي ، ومحمد الغزالي ، وسيد سابق ، وغيرهم ، رحمهم الله .

العامل السابع : تأثر الشيخ بمدرسة التجديد في العصر الحديث[3] :

أما العامل السابع فهو : تأثر الشيخ بمدرسة التجديد في العصر الحديث وأعني بمدرسة التجديد هنا : (مدرسة المنار) ، والقارئ لكتب القرضاوي ،

---

(١) انظر : قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث ص ١١١.

(٢) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ ص ٥٠.

(٣) للمزيد من معرفة علاقة الشيخ القرضاوي بالشيخ رشيد رضا ؛ راجع ما ذكرته في كتابي : (المنهج الدعوي عند القرضاوي) تحت عنوان : شخصيات أعجب بها ص ٥٤ طبعة مكتبة وهبة ٢٠٠٦م .

والمطالع لآرائه وكتاباته ، يرى مدى تأثره وإعجابه بـ «محمد رشيد رضا» صاحب مدرسة المنار، وقد تعرف الشيخ يوسف على الشيخ محمد رشيد رضا من خلال مجلته «المنار» يقول الشيخ القرضاوي : وأنا لا أنكر أني من أشد المعجبين بالشيخ رشيد رضا وأعتبره أحد مجددي الإسلام ، وواحداً من أعلامه الراسخين في العلم ، المستقلين في الفكر ، المجتهدين في الدين [١].

بل يعد الشيخ القرضاوي الإمام «رشيد رضا» شيخاً له فيقول : الشيخ رشيد رضا ، هو شيخي وأستاذي الذي أحببته وقدرته من القدم ، والتلميذ لا يبلغ مبلغ شيخه [٢].

ويُظهر القرضاوي أثر مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ «رشيد رضا» وكتبه في العالم الإسلامي فيقول : وقد كان لمجلة «المنار» وتفسيره وكتبه وفتاويه ، أثر لا يجحد في تنبيه الأمة الإسلامية من غفلتها ، وتحريرها من أغلال القيود التي وضعتها في أعناقها، والعمل على إعادتها إلى الينابيع الصافية من كتاب ربها وسنة نبيها وهدي سلفها الصالح في خير القرون [٣].

ويصفه الشيخ بقوله : فهو في طليعة دعاة السلفية ، وأنصار السنة المحمدية الذين أحيوا علوم السلف ونوهوا بها ، وناصروا المدرسة السلفية بالعقل والنقل [٤].

وبهذا التأثر الواضح نهل القرضاوي من شيخه رشيد رضا الذي كان وسطيا في منهجه رحمه الله تعالى .

ويرى محمد أحمد الراشد : أن مما مكن القرضاوي من شرح مذهب[٥] الوسطية : تمهيدات شارك فيها عدد من أئمة التجديد الفقهي الحديث ، ومن

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج ٢ ص ٨٣ .
(٢) انظر : تفسير سورة الرعد ص ١٣ .
(٣) انظر : فتاوى معاصرة ج ٢ ص ٨٣ .
(٤) انظر : المرجع السابق ج٢ ص ٨٣ .
(٥) هنا تحفظ على إطلاق مصطلح : (مذهب) على الوسطية .

أظهرهم فقيه تونس محمد الطاهر عاشور ، والعلامة محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق ... [١]

العامل الثامن : الجمع بين مدرستي الغزالي وابن تيمية :

تملك إعجاب القرضاوي بالغزالي جميع جوانبه ، وأحبه حبا كبيرا ، كثيرا ما أعلن عنه ، وقد حدا هذا الحب والإعجاب بالقرضاوي أن يعد الغزالي عالماً موسوعياً فيقول : وهو بلا ريب أحد أعلام الفكر الإسلامي بوجه عام ، كما أنه أحد العباقرة الذين تعددت جوانب نبوغهم وعطائهم ، الجامعين للمعرفة الموسوعية التي شملت العلوم الشرعية في عصره ، إذا استثنيت علم الحديث الذي اعترف «الغزالي» أن بضاعته فيه مزجاة ، فقد شملت معارفه الفقه والأصول والكلام والمنطق والفلسفة والتصوف والأخلاق وغيرها ، وصنف في كل منها تصانيف تشهد له بالعمق والأصالة والتفوق وطول الباع [٢].

وقد تأثر القرضاوي بكتابات «الغزالي» لدرجة الرقة والبكاء كما يقول هو : وكنت أتأثر بما فيها من رقائق ، وترتعش جوانحي ، ويترقرق دمعي وهذا من دلائل إخلاص «الغزالي» رحمه الله [٣].

وكما أحب القرضاوي الغزالي فقد أحب كذلك ابن تيمية فقال : والإمام «ابن تيمية» من أحب علماء الأمة ـ بل لعله أحبهم ـ إلى قلبي وأقربهم إلى عقلي [٤].

واستطاع القرضاوي أن يجمع إلى روحانية «الغزالي» سلفية كل من «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم»، حيث يرى الشيخ القرضاوي أن : أبرز من دعا إلى السلفية ودافع عنها في العصور الماضية هو : شيخ الإسلام «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» [٥].

---

(١) انظر : أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي محمد أحمد الراشد ج٢ / ص١٥٨ ، ١٥٩ ، بتصرف ط دار المحراب .

(٢) انظر : الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ١٩.

(٣) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ٨.

(٤) انظر : كيف نتعامل مع السنة ص ١٧.

(٥) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٩٧.

وقد أقرّ القرضاوي بأن انتماءه لمدرسة «ابن تيمية» و«ابن القيم» تكميلٌ لمدرسة «الغزالي» لا هدما لها فيقول : وبعد أن أتيح لي الاطلاع على مدرسة شيخ الإسلام «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» وغيره ، وجدت فيها ألواناً من التجديد لم تكن في مدرسة الإمام «الغزالي» ، واعتبرت أن هذه المدرسة تكمل السابقة ، وبينهما تكامل لا تضارب ، وتناسق لا تنافر ، وهذا لعله نهج لي في مساري الفكري ، فأنا لا أتعصب لمدرسة بعينها ، ولا لشيخ بعينه ، بل أنظر إلى الجميع نظرة من يأخذ من كل واحد خير ما عنده ، على نهج ما قال بعض السلف الصالح : خذ ما صفا ودع ما كدر [1].

وكانت النظرة الشمولية التجديدية المتوازنة من أهم ما لفت نظر القرضاوي في مدرسة «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» ويؤكد ذلك قائلاً : اتصلت اتصالاً أعمق بالمدرسة السلفية وإماميها المجددين : «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» ، وقد أعجبت بالنظرة الشمولية التجددية المتوازنة في هذه المدرسة ، ومقاومتها لما دخل على الإسلام من تحريفات وانحرافات في الفكر أو في السلوك [2].

العامل التاسع : حاجة الأمة إلى الوسطية الآن :

فالشيخ يرى أن (منهج الوسطية) هو حبل النجاة ، وسفينة الإنقاذ اليوم ، لأمتنا العربية والإسلامية من التيه والضياع ـ بل الهلاك والدمار ـ الذي يُهدد حاضرها ومستقبلها . وأن معظم قضاياها الفكرية والعملية الكبرى تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين :

طرف الغلو أو التطرف أو التشدد أو الإفراط سمه ما تسميه ، المهم أنه هو الطرف الذي يُرهق الأمة من أمرها عسرا ، ويُوقعها في الحرج ، ويُعسِّر عليها ما يسَّر الله ، ويُعقِّد ما سهَّله الدين ، ويُضيِّق ما وسَّعه الشرع .

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر ج١ ص ١١٥ .

(٢) انظر : الحياة الربانية والعلم ص١٠ .

والطرف الآخر : طرف التسيب والتفريط والتقصير والإضاعة . فلا يكاد يتشبَّث بعقيدة ، أو يتمسَّك بفريضة ، أو يحرِّم حراما ، الدين عجينة لينة في يديه ، يشكِّله كيف يشاء ، ومتى شاء ، ليس فيه ثوابت [1].

ويؤكد الشيخ هذا المعنى في كتاب آخر فيقول : وإنما عنيت بهذا الأمر كل هذه العناية ، لأني أرى هذا الفكر أو هذا الاتجاه : هو طوق النجاة للدعوة الإسلامية ، بل للأمة الإسلامية كلها . وهو الجدير أن يمضي بها في الطريق الصحيح ، الذي يوصل إلى الغاية المنشودة ، وهي الرقي بالأمة ماديا وروحيا ، والعودة بها إلى دفة القيادة للبشرية ، بما لديها من رسالة ربانية إنسانية أخلاقية عالمية ، متكاملة متوازنة [2].

العامل العاشر : البعد عن الوسطية يؤدي إلى الهلاك في الدين والدنيا :

وأما العامل العاشر الذي دعا القرضاوي إلى تبني الوسطية فهو الخوف على مستقبل الأمة ، ودين الأمة ، ومقدرات الأمة ؛ من الضياع والهلاك ، يقول الشيخ : كما أني أرى الإعراض عن هذه الوسطية هو الهلاك بعينه ، والضياع في الدين والدنيا معا . سواء كان هذا الإعراض جنوحا إلى جانب التسيب والانفلات ، وهو جانب التفريط والتقصير ، بإضاعة الصلوات ، واتباع الشهوات ، والسير في ركاب شياطين الإنس والجن ، وباعة الفجور ، ومروجي الإلحاد والانحلال ، ودعاة المادية المجحفة ، والإباحية المسرفة . فهلاك هؤلاء محتم وفق سنن الله تعالى ، أم كان الإعراض عن الوسطية جنوحا إلى جانب الغلو والتنطع والتشدد ، وهو جانب الإفراط أو التطرف ، كما يسمونه اليوم [3].

تلك هي أهم العوامل التي قادت القرضاوي ، وأخذت بزمام منهجه إلى الوسطية كتابة وقولا ، تأليفا وتأصيلا ، دعوة وتربية . . .

* * *

---

(١) انظر : بحث (الوسطية ودور الإعلام في إبرازها) ص٣٠ المقدم من الشيخ لندوة (اقرأ) الفقهية الإعلامية الرمضانية (١٤٢٧هـ) وهو منشور على موقع الشيخ «قرضاوي نت». "www.qaradawi.net".

(٢) انظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص٢٤١.

(٣) انظر : المرجع السابق ص٢٤٢.

(٤)

الوسطية في كتب القرضاوي

الدعوة إلى الوسطية ، وتبني منهجها ؛ لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب القرضاوي ، قد يكون الحديث في بعضها عرضا ، وفي بعضها أصلا ـ وهو الغالب ـ وقد يكون في بعضها موجزا وفي بعضها مفصلا ـ وهو الأكثر ـ يظهر هذا في كتب الشيخ القديمة والحديثة ، وهو في كتبه الحديثة أكثر ظهورا ، وهذا يعني : أن أي باحث في كتب الشيخ لن يتعب في استخلاص حديثا عن الوسطية في أي كتاب يقع تحت يديه .

وسوف أذكر عددا من الكتب التي تحدث الشيخ فيها عن الوسطية لأبين هذا الأمر . منوها على بداية ظهور هذا المصطلح (الوسطية) ، ومن هذه الكتب[1] :

١- الحلال والحرام .
٢- العبادة في الإسلام .
٣- الإيمان والحياة .
٤- فقه الزكاة :
٥- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .
٦- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .
٧- فقه الجهاد .
٨- الخصائص العامة في للإسلام .

---

(١) اخترت هذه الكتب لأن معظمها من أول ما كتب الشيخ ودخل به عالم الكتابة والتأليف ، وهي كذلك من أكثر الكتب بيانا لمنهج الشيخ الفكري والدعوي ، وإيضاحا للوسطية ومعالمها ، ومنها كذلك أحدث كتبه وهو فقه الجهاد ، والذي قامت جريدة الوطن القطرية بنشره على حلقات في شهر رمضان ١٤٢٩هـ .

١- الوسطية في كتاب (الحلال والحرام) :

لا يذكر القرضاوي إلا ويذكر معه كتاب (الحلال والحرام) ، فهو أشهر كتبه عند مادحيه وناقديه سواء بسواء[1] ، وفي هذا الكتاب برهن الشيخ على وسطيته التي يتبناها ، والتي يقف بها وسطا بين من خطف أبصارهم بريق المدنية الغربية ، وراعهم هذا الصنم الكبير ، فتعبَّدوا له ، وبين من جمد على آراء معينة في مسائل الحلال والحرام . فلم يتزحزح عن رأيه قَيد شعرة ، فيقول : رأيت معظم الباحثين العصريين في الإسلام والمتحدثين عنه يكادون ينقسمون إلى فريقين :

الفريق الأول :

فريق خطف أبصارهم بريق المدنية الغربية ، وراعهم هذا الصنم الكبير ، فتعبَّدوا له ، وقدموا إليه القرابين ووقفوا أمامه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، هؤلاء الذين اتخذوا مبادئ الغرب وتقاليده قضية مُسلَّمة ، لا تُعارض ولا تُناقش ، فإن وافقها الإسلام في شيء هلَّلوا وكبَّروا ، وإن عارضها في شيء وقفوا يحاولون التوفيق والتقريب ، أو الاعتذار والتبرير ، أو التأويل والتحريف . . . هذا فريق .

الفريق الثاني :

جمد على آراء معينة في مسائل الحلال والحرام . تبعا لنص أو عبارة في كتاب ، وظنَّ ذلك هو الإسلام ، فلم يتزحزح عن رأيه قَيد شعرة ، ولم يحاول أن يمتحن أدلة مذهبه أو رأيه ، ويزنها بأدلة الآخرين ، ويستخلص الحق بعد الموازنة والتمحيص .

---

(١) من الطرائف أنني استدعيت من قبل رجال الأمن في مصر ، وتطرق الحوار عن علاقتي بالشيخ وطبيعة عملي معه ، وفي أثناء التحقيق حاول الضابط إفهامي أنه متابع للشيخ من خلال برنامج (الشريعة والحياة) الذي يتسم بالوسطية والاعتدال ، كما حاول إقناعي بأنه متابع لإصدارات الشيخ ، ثم تحدث عن بعض آراء الشيخ ثم قال لي : لقد ذكر الشيخ هذا في آخر كتبه ، فكدت أصدق الرجل ؛ ولكنني تذكرت أن الموضع الذي تحدث فيه لم يذكر في آخر كتب الشيخ. فقلت له أي كتاب تقصد؟ فقال ـ بملء فيه وبكل ثقة ـ : (الحلال والحرام). فضحكت في نفسي ثم قلت : ومن الغرور ما فضح .

فلم أرضَ لديني أن أتخذَ الغرب معبودا لي ، بعد أن رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا . ولم أرضَ لعقلي أن أقلِّد مذهبا معينا في كل القضايا والمسائل أخطأ أو أصاب .

أجل ، لم أحاول أن أُقيد نفسي بمذهب فقهي من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي ، ذلك أن الحق لا يشتمل عليه مذهب واحد . وأئمة هذه المذاهب المتبوعة لم يدَّعوا لأنفسهم العصمة ، وإنما هم مجتهدون في تَعرُّف الحق ، فإن أخطؤوا فلهم أجر ، وإن أصابوا فلهم أجران [1].

وعند حديثه عن موقف الإنسان من الغريزة ، أظهر الشيخ وسطية الإسلام كمنهج فقال تحت عنوان : (موقف الإنسان أمام الغريزة الجنسية) :

١- فإما أن يطلق لها العنان تسبح أين شاءت وكيف شاءت ، بلا حدود توقفها ، ولا روادع تردعها ، من دين أو خلق أو عرف . كما هو الشأن في المذاهب الإباحية التي لا تؤمن بالدين ، ولا بالفضيلة .

٢- وإما أن يصادمها ويكبتها . كما هو الشأن في مذاهب التقشف والحرمان والتشاؤم كالمانوية والرهبانية ونحوهما .

٣- وإما أن يضع لها حدودا تنطلق في داخلها ، وضمن إطارها ، دون كبت مرذول ، ولا انطلاق مجنون . كما هو الشأن في الأديان السماوية ، التي حرمت السفاح ، وشرعت النكاح ــ الزواج ــ وخصوصا الإسلام الذي اعترف بالغريزة ، فيسر سبيلها من الحلال ، ونهى عن التبتل واعتزال النساء ، كما حرم الزنى وملحقاته ومقدماته أشد التحريم .

وعقّب الشيخ على هذا الموقف قائلا :

وهذا الموقف هو العدل والوسط . فلولا شرع الزواج ما أدت الغريزة دورها في استمرار بقاء الإنسان . . ولولا تحريم السفاح وإيجاب اختصاص الرجل

---

(١) انظر : الحلال والحرام صـ ١٠-١٢ ، باختصار شديد.

بامرأة ما نشأت الأسرة التي تتكون في ظلالها العواطف الاجتماعية الراقية من مودة ورحمة وحنان وحب وإيثار ، ولولا الأسرة ما نشأ المجتمع ولا أخذ طريقه إلى الرقي والكمال [1].

وعند حديثه عن القَدْر الذي يُرى من المخطوبة ، ذكر الشيخ آراء العلماء ثم قال : وقد تطرف بعض العلماء في الترخيص بالقدر الذي يرى ، وتطرف آخرون في التشديد والتضييق ، والخير في التوسط والاعتدال . وقد حدده بعض الباحثين بأن للخاطب في عصرنا الحالي أن يراها في الملابس التي تظهر بها لأبيها وأخيها ومحارمها بلا حرج ، قال : بل له ــ في نطاق الحديث الشريف ــ أن يصحبها مع أبيها أو أحد محارمها ــ وهي بزيها الشرعي ــ إلى ما اعتادت أن تذهب إليه من الزيارات والأماكن المباحة لينظر عقلها وذوقها وملامح شخصيتها ، فإنه داخل في مفهوم البعضية[2] التي تضمنها قوله عليه السلام فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى زواجها [3].

ثم أكد الشيخ على الوسطية المطلوبة خاتما بها حديثه فقال : إن التطرف إلى اليمين أو اليسار أمر تأباه طبيعة الإسلام [4].

وعند حديثه عن عورة المرأة ذكر اختلاف العلماء قائلا : وقد اختلف العلماء في تحديد معنى (ما ظهر منها) وقدره ؛ أيكون معناه : ما ظهر بحكم الضرورة من غير قصد كأن كشفته الريح مثلا ، أو يكون معناه : ما جرت به العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور؟

---

(١) انظر : الحلال والحرام صـ ١٣٣ ، ١٣٤.

(٢) وهو قوله ﷺ : « إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» رواه أحمد (١٤٨٦٩) وقال محققو المسند : حديث حسن ، ورواه أبو داود (٢٠٨٢) . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٣٢).

(٣) انظر : المرجع السابق ١٥٦ ، ١٥٧ ، باختصار.

(٤) انظر : المرجع السابق ١٥٧.

وبعد أن ذكر الشيخ آراء العلماء في تحديد معنى (ما ظهر منها) وقدره ، وأوضح آراء المضيقين منهم والموسعين ؛ قال : والذي أرجحه أن يقصر (ما ظهر منها) على الوجه والكفين وما يعتاد لهما من الزينة المعقولة بلا غلو ولا إسراف كالخاتم لليد والكحل للعين كما صرح به جماعة من الصحابة والتابعين [١].

وهذا يعني أن وسطية القرضاوي في (الحلال والحرام) ظهرت كمنهج ثابت أصيل ، وإن لم تظهر كمصطلح بارز واضح .

٢- الوسطية في كتاب (العبادة في الإسلام) :

أما الكتاب الثاني للشيخ في عالم التأليف فقد كان كتاب (العبادة في الإسلام)[٢] ، وهو كتاب يبحث في حقيقة العبادة ومنزلتها وأسرارها ، وإن شئت فقل : هو بحث في « فلسفة العبادة » في الإسلام [٣].

وفي هذا الكتاب أيضا ظهرت الوسطية كذلك كمنهج ، وأشار الشيخ فيه إلى وسطية الإسلام ، وعدّها الشيخ سمة من سمات الإسلام ، أو سمته الكبرى التي يعرف بها ، ولكن الشيخ لم يذكرها صراحة ؛ وإنما ذكرها بصفة : (التوازن والاعتدال) ، حيث جعل الشيخ : التوازن والاعتدال بين الروحية والمادية : أحد المبادئ الخمسة للإصلاح الإسلامي في مجال العبادة فقال : التوازن والاعتدال بين الروحية والمادية ، أو بين الدين والدنيا ، هو المبدأ الإصلاحي الخامس من المبادئ التي دعا إليها الإسلام ورعاها ، ليصلح ما أفسده محرفو الأديان في مجال العبادة [٤].

وبعد أن ذكر الشيخ : غلو اليهودية في أمر الدنيا ، وإهمال المسيحية لأمر الدنيا ، قال تحت عنوان : (التوازن سمة الإسلام) : هكذا كانت اليهودية في إغفائها للآخرة وللروح ، وهكذا كانت المسيحية في تحقيرها للدنيا وللجسد .

---

(١) انظر : الحلال والحرام صـ ١٣٣ ، ١٣٤.

(٢) صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٦٠م .

(٣) انظر : العبادة في الإسلام ص ٥ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ١٨١ .

فلما جاء الإسلام كانت سمته التوازن والاعتدال في كل الآفاق والنواحي . والاعتدال الذي يليق برسالة عامة خالدة ، جاءت لتسع أقطار الأرض ، وأطوار الزمن ، وتشرع لشتى الأجناس والطبقات والأفراد ، في مختلف شئون الحياة . الاعتدال بين أشواق الروح وحقوق الجسد ، بين بواعث الدين ، ومطالب الدنيا . الاعتدال بين العمل لهذه الحياة والعمل لما بعد الحياة . فلم يطلب الإسلام من المسلم المثالي أن يكون راهباً في دير ، أو عابداً في خلوة ، ليله قائم ونهاره صائم ، كل صمته فكر ، وكل كلامه ذكر وكل نظره تأملات ! لا حظ له في الحياة ، ولا حظ للحياة فيه [1].

ثم ختم الشيخ الحديث عن هذا المبدأ بقوله : وهذا هو الإسلام : دين لا ينعزل عن الدنيا ، ودنيا لا تنعزل عن الدين [2].

وهذا يعني أيضا : أن وسطية القرضاوي في (العبادة في الإسلام) ظهرت كمنهج ثابت أصيل ، وإن لم تظهر كمصطلح بارز واضح .

٣- الوسطية في كتاب (الإيمان والحياة)[3] :

بداية ظهور مصطلح الوسطية عند القرضاوي :

هذا الكتاب يعد المتمم للثلاثية الأولى من كتب الشيخ ، وفيه ظهرت الوسطية كلفظ صريح ، حين تحدث الشيخ عن عقيدة الإسلام ، فذكر أن من أهم خصائصها : أنها عقيدة وسط ، لا تجد فيها إفراطاً ولا تفريطاً ، وقد أوضح الشيخ وسطية العقيدة بين أطراف متعددة :

---

(١) انظر : العبادة في الإسلام ص ١٨٤ ، ١٨٥.

(٢) انظر : العبادة في الإسلام ص ١٩٢.

(٣) صدرت الطبعة الأولى من الكتاب - كما ذكر لي فضيلة الشيخ - سنة ١٩٦٠م تقريبا ، عبارة عن مقالات نشرها الشيخ في مجلة (نور الإسلام) وكان الشيخ قد أعلن عن الكتاب بعنوان : «العقيدة والحياة» لكنه آثر أن يستعمل الكلمة التي استعملها القرآن في التعبير عن العقيدة ، وهي كلمة : الإيمان .

فهي وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم ، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله .

وهي عقيدة وسط في صفات الإله : فليس فيها الغلو في التجريد الذي يجعل صفات الإله مجرد سُلوب لا تعطي معنى ، ويقابل هذا أنها خلت من التشبيه والتجسيم الذي وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية .

وهي وسط بين التسليم الأبله الذي يأخذ عقائد الآباء بالوراثة ، وبين الذين يريدون أن يعرفوا كُنْه كل شيء حتى الألوهية .

وهي وسط في علاقتها بالعقائد الأخرى ، فلا تقبل الذوبان في غيرها ، ولا تتعصب ضد غيرها من العقائد السماوية ؛ بل يتسع صدرها لما يخالفها .

لا تقبل التهاون في موادة من يحاربونها ويضعون العراقيل في سبيلها ، ولكنها لا تقبض يد البر والمعونة عمن يخالفها ولا يعتدي على أهلها .

وهي وسط بين الذين يتساهلون في إثبات العقائد فيقبلون الظنون والشكوك والأوهام ، وبين الذين لا يقبلون في العقيدة أي خطرة تمر بالذهن ثم تختفي ، أو هاجس يهجس في النفس ثم يزول .

وهي وسط في أمر النبوة ، فلم ترفع الأنبياء إلى مقام الألوهية ، ولم تنزل بهم إلى مستوى السفلة من الناس .

وهي عقيدة وسط في قضية الإرادة الإنسانية ، قضية الجبر والاختيار ، فالإنسان ــ في دائرة أعماله الاختيارية ــ حر مسئول عن نفسه وعمله ، له أن يفعل وأن يترك ، أن يقدم وأن يحجم كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه ، ولكن الإنسان ــ كما هو الواقع ــ ليس مطلق الإرادة ، كامل الاختيار ، بحيث يفعل كل ما يشاء ، وينفذ كل ما يريد ، ولو فعل لكان إلها .[1]

---

(١) انظر : الإيمان والحياة صـ٤٠ وما بعدها بتصرف .

٤- الوسطية في كتاب (فقه الزكاة) :

وفي كتابه القيم «فقه الزكاة» تحدث الشيخ عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي برزت في العالم كله في عصرنا الحاضر ، ثم تحدث عن الصراع المذهبي الرهيب ، الذي قسم العالم إلى معسكرين فكريين متقابلين : رأسمالية لها من يمشي في ركابها ، وشيوعية لها من يدور في فلكها ، ومسلمون يقفون مذبذبين ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، تاركين مذهبهم الوسط ؛ يقول الشيخ : وفى عصرنا برزت المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في العالم كله ، وتعددت المذاهب والأنظمة الداعية إلى حلها ، وقام من أجل ذلك صراع مذهبي رهيب ، قسم العالم إلى معسكرين فكريين متقابلين : معسكر الرأسمالية ومن يمشي في ركابها ، ومعسكر الشيوعية ومن يدور في فلكها ؛ على حين يقف المسلمون بين هؤلاء وهؤلاء متفرجين أحيانًا ، ومائلين أحيانًا أخرى إلى هذا المعسكر أو ذاك ، كأنما ليس لهم نظامهم الفذ ، ومذهبهم المتميز الذي جعلهم الله به أمة وسطًا . ولا بد أن يسهم الباحثون المسلمون ــ بقدر ما آتاهم الله من علم وفكر ــ في توضيح الفكرة الإسلامية ، وتحديد الموقف الإسلامي ، وخاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي . حتى نستغني بما عندنا عن الاستيراد من عند غيرنا ، ولا سيما إذا كان ما عندنا أعدل وأكمل وأمثل ؛ لأنه صبغة الله :﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ (البقرة:١٣٨)[1] .

وحين عرض الشيخ منهج بحثه في كتابه هذا ؛ جعل أحد أركان منهجه : (التمحيص والترجيح) وتحت هذا الركن اتخذ الشيخ الموقف الوسط بين المتعصبين المتزمتين الجامدين على كل قديم ، وبين دعاة التجديد الذين يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر ، يقول الشيخ : ومن هنا لم أكن أقرأ الأقوال والنصوص قراءة المقلد المتحيز ، بل قراءة الفاحص الممحص ، الباحث

---

(١) انظر : فقه الزكاة ج١ ص١٠ ، ١١.

عن الحق ، لا يبالي أين وجده ولا مع من وجده قد يجده عند المتقدمين ، وقد يجده عند المتأخرين ، قد يجده في مدرسة الرأي ، وقد يجده في مدرسة الحديث ، وقد يجده في فقه الظاهرية ، قد يجده في المذاهب الأربعة ، وقد يجده عند غيرهم من الأئمة ، وما أكثرهم . إنني لم أقف مع المتعصبين المتزمتين الجامدين على كل قديم ، والزاعمين بأن لا أئمة بعد الأربعة ، ولا اجتهاد بعد القرون الأولى ، ولا علم إلا في كتب المتأخرين المقلدين ، ومن عارضهم في ذلك اتهموه بكل نقيصة . ومع هذا لم أكن لأنساق وراء أدعياء الاجتهاد الذين لم يملكوا وسائله ، ودعاة التجديد الذين سخر منهم الرافعي الأديب بأنهم « يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر »!! . وإنما أقف موقفًا وسطًا عدلاً : أرحب بكل جديد نافع ، وأحرص على كل قديم صالح . ولم تمنعني صفرة الكتب القديمة ، ورداءة طبع الكثير منها ، ودقة خطها ، من الغوص في أعماقها ، واستخراج كنوزها ، ومعاناة متونها وشروحها وحواشيها ، وهكذا انتفعت بالقديم وبالجديد ، دون تزمت ولا تحلل . بل موقفي من هذا وذاك موقف المنتخب المتخير الذي يبحث ما وسعه البحث ، ويحلل ما أمكنه التحليل ، ويوازن ما أسعفته الموازنة ، ثم ينصر ما قويت حجته ، واتضحت أدلته ، غير متعصب لقول قائل ، ولا لمذهب إمام ، فقد آخذ في مسألة بمذهب أبي حنيفة ، وأخرى بمذهب مالك ، وثالثة بقول الشافعي أو أحمد أو سفيان أو الأوزاعي أو أبي عبيد أو أي إمام قبلهم أو بعدهم ، وقد أدع هؤلاء جميعًا وآخذ بقول صح عن صحابي أو تابعي [1].

٥- الوسطية في كتاب : (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) :

وفي كتابه الرائع من سلسلة :(ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية) والذي نشرته مجلة الأمة القطرية ــ التي توقفت بعد ستة أعوام حافلة بالنشاط ــ في عددها

---

(١) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ٣٧ ، ٣٨.

الثاني من سلسلة (كتاب الأمة) ، في هذا الكتاب تحدث القرضاوي باستفاضة عن وسطية الإسلام ، ومما قاله هناك : والإسلام منهج وسط في كل شيء : في التصور والاعتقاد ، والتعبد والتنسك ، والأخلاق والسلوك ، والمعاملة والتشريع .

وهذا المنهج هو الذي سماه الله الصراط المستقيم وهو منهج متميز عن طرق أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى من المغضوب عليهم ومن الضالين الذين لا تخلو مناهجهم من غلو أو تفريط .

والوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام ، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها . والنصوص الإسلامية تدعو إلى الاعتدال ، وتحذر من التطرف ، الذي يعبر عنه في لسان الشرع بعدة ألفاظ منها : الغلو والتنطع والتشديد .

والواقع أن الذي ينظر في هذه النصوص يتبين له بوضوح أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا الغلو ، ويحذر منه أشد التحذير[1] .

وهذا الكتاب يعد من أهم كتب الشيخ في معالجة التطرف والتشدد الذي عرفت به بعض فصائل الحركة الإسلامية ، وخصوصاً بعد عمليات التعذيب المروعة التي منيت بها جماعة (الإخوان المسلمون) في منتصف القرن الماضي .

٦-الوسطية في كتاب:(الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم):

وفي نفس السلسلة (ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية) كتب الشيخ كتابه (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) وفيه أكد على الصحوة : ضرورة اتباع المنهج الوسط وترك التنطع في الدين ، فقال : ومما ينبغي الحرص عليه لتوحيد صف الداعين إلى الإسلام ، أو ـ على الأقل ـ تقريب الشقة ، وإزالة الجفوة ، بينهم : اتباع المنهج الوسط ، الذي يتجلى فيه التوازن والاعتدال ، بعيدا عن طرفي الغلو والتفريط ، فهذه الأمة أمة وسط في كل شيء ، ودين الله ـ كما أثر عن السلف ـ بين الغالي فيه والجافي عنه .

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص٢٤- ٢٩.

فالوسط هو مركز الدائرة التي ترجع إليه الأطراف المتباعدة عن يمين وشمال .

وهو يمثل الصراط المستقيم ، الذي علمنا الله تعالى أن نسأله الهداية إليه كلما قرأنا فاتحة الكتاب في صلواتنا اليومية أو خارجها .

وهو الذي أوصانا الله تعالى أن نتبعه فتتوحد كلمتنا ، ولا نتبع السبل والمناهج التي يدعو إليها شياطين الإنس والجن ، مما صدر عن الغرب أو الشرق ومال إلى اليمين أو اليسار ، قال تعالى في ختام الوصايا العشر من سورة الأنعام : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [1] (الأنعام:١٥٣) .

ثم أبان القرضاوي أن اتباع المنهج الوسط يحتم الابتعاد عن التشدد والتنطع فقال : ومما يلزم مما ذكرناه من اتباع المنهج الوسط ، ويعتبر أيضا من أهم أسباب الوفاق والتقارب بين العاملين للإسلام : تجنب التنطع في الدين ، وهو ما أنذر النبي أصحابه بالهلاك .[2]

٧- الوسطية في كتاب (فقه الجهاد) :

يُعد كتاب (فقه الجهاد) من الكتب التي نوّه بها الشيخ كثيرا في خطبه ومحاضراته ، واقتبس منها في بعض أبحاثه وكتاباته ؛ حتى شوّق المتابعين له من طلبة العلم وغيرهم لهذا الكتاب الجديد ؛ الذي طالت فترة مخاضه ، والذي يأتي في فترة أصبح الحديث فيها عن الجهاد حديث عن الإرهاب عند البعض ، ومن المحرمات عند الآخرين .

ولم تمنع الأصوات المتعالية بنبذ الجهاد ورجاله الشيخَ من أن يقوم بواجب الكفاية في هذا الأمر ، كما لم يصرفه بريق الانبهار بالغرب ليتقرب إليه على

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٦٦ ، باختصار.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٦٧ وما بعدها.

حساب دينه وشريعته . وإنما وقف موقفا وسطا . ومع وسطيته كان صلبا ، فلم يركن إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

ولهذا كانت المكتبة الإسلامية في أمسّ الحاجة إلى هذا الكتاب الذي يعد مرجعا أساسيا ــ إن شاء الله ــ في هذا الباب ، ليضم إلى توأمه (فقه الزكاة) .

ولم يكن المنهج الوسطي بعيدا عن هذا الكتاب ؛ بل ظهر أول ما ظهر في مقدمة الكتاب ، حيث صنّف الشيخ مواقف الناس في الجهاد إلى أصناف ثلاثة ، فقال : لقد رأينا في الجهاد ثلاثة مواقف ، أو ثلاث فئات :

١- الفئة التي تريد إماتة الجهاد : فئة تريد أن تُهيل التراب على الجهاد ، وأن تسقطه من حياة الأمة ، وأن تجعل أكبر همِّها ومبلغ علمها : أن تربِّي الأمة على المعاني الربانية ، والقيم الروحية ، والفضائل السلوكية ، وتعتبر هذا هو (الجهاد الأكبر) : جهاد النفس والشيطان .

٢- الفئة التي تعلن الحرب على العالم كله : وفي مقابل هذه الفئة : فئة فهمت الجهاد على أنه (قتال العالم كله) : مَن حارب المسلمين أو وقف في سبيل دعوتهم ، أو فتن المسلمين في دينهم .

٣- فئة التوسط والاعتدال : والفئة الثالثة ، هي (الأمة الوسط) ، التي هداها الله إلى الموقف الوسط ، وآتاها العلم والحكمة ، ورزقها البصيرة في فقه الشرع ، وفقه الواقع ، فلم تقع في تفريط الفئة الأولى التي تريد للأمة أن يبقى حقها بلا قوة ، ومصحفها بلا سيف ، وأن تبقى دارها بلا حُرَّاس ، وحرماتها بلا حُماة . كما لم تقع في إفراط الفئة الثانية وغلوِّها ، التي تريد أن تقاتل المسالمين ، وتشنَّ الغارة على الناس أجمعين[1] .

---

(١) انظر : مقدمة فقه الجهاد جريدة الوطن القطرية عدد ١رمضان ١٤٢٨هـ . (والكتاب تحت الطبع) . مكتبة وهبة القاهرة .

وقد وضع الشيخ منهجا في الكتاب صار عليه ، وأعلنه في مقدمة الكتاب تضمن ستة عناصر أساسية وهي :

١- الاعتماد أساسا على القرآن .

٢- اعتماد السنة الصحيحة .

٣- الاغتراف من بحر الفقه كله .

٤- المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان والقوانين .

٥- الربط بالواقع المعاصر .

٦- تبني منهج الوسطية .

وتحت هذا العنصر (تبني منهج الوسطية) قال الشيخ : لقد تبنينا في هذا الكتاب ـ كما في كل كتبنا وبحوثنا ـ المنهج الذي وفقنا الله إلى اختياره وترجيحه في الدعوة والتعليم والإفتاء والإصلاح والتجديد ، وهو : منهج الوسطية والاعتدال ، الذي يجسد قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣) ، وقوله سبحانه : ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن:٨،٩) ، وهو المنهج الذي يمثل : ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦) ، الذي ندعو الله أن يهدينا إليه في صلواتنا كل يوم .

ومن معالم هذا المنهج في الفقه والفَهم والاجتهاد : أن نفهم النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية ، وأن نردَّ المتشابهات إلى المُحكمات ، والظنيات إلى القطعيات ، والجزئيات إلى الكليات ، وأن نشدِّد في الأصول ونيسِّر في الفروع ، وأن نلائم بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر ، وأن نصل النقل الصحيح بالعقل الصريح ، وأن لا نتعصَّب لرأي قديم ، ولا نتعبَّد لفكر جديد ، وأن نتمسك بثبات الأهداف ، ومرونة الوسائل ، وأن ننتفع بكل قديم نافع ، كما نرحب بكل جديد صالح .

على هذا النهج سرنا في بحثنا وفي اجتهادنا وترجيحنا ، وكان من توفيق الله لنا : أن اتضحت لنا المحجَّة ، وبدت لنا بيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك [1].

وقد تحدث الشيخ عن مواقف الناس أمام الجهاد الداخلي ؛ وذكر منها ثلاث فرق ، ذم الشيخ اثنتين وهما الطرفان ، ومدح الثالثة وهي الواسطة . يقول الشيخ : والناس أمام هذا الجهاد ثلاث فئات : طرفان وواسطة :

١- الانسحابيون : فالطرف الأول : (الانسحابيون) الذين يفرُّون من هذا الميدان ، أو لا يدخلونه أصلا ، تاركين الطغيان يمارس نشاطه في إفساد البلاد ، وإذلال العباد ، والفسوق يعمل عمله في أخلاق الناس وضمائرهم ، كما تعمل النار في الحطب .

٢- الهجوميون (دعاة العنف المسلح) : وهناك فئة على النقيض من هؤلاء تمثِّل الطرف المقابل ، هم الذين يستخدمون العنف ويَدْعون إلى الخروج المسلَّح ، بلا حكمة ، ولا تحقيق لشروطه ، ولا دراسة لعواقبه ، وآثاره : أيصلح أم لا يصلح ؟ أيضرُّ أم ينفع ؟

٣- الفئة الوسط بين أولئك وهؤلاء : وبين المغالين في الاستسلام لظلمة الولاة والسلاطين ، والمغالين في التمرُّد عليهم ، وحمل السلاح خروجا عليهم ، دون حساب لعواقب هذا الخروج ، وما قد يُوقعه من مآسٍ ومظالم : توجد الفئة الوسط التي لا تسكت عن المنكر وهو يشيع ، ولا تُغمض العين على الفساد وهو يستشري ، ولا على الظلم وهو يتفاقم ويتكاثر [2] .

وبهذا يتضح لنا : أن القرضاوي تبنى منهج الوسطية في كل ما كتب ، سواء كبُر حجم الكتاب أم صغُر ، سواء القديم منه أم الحديث .

(١،٢) انظر : مقدمة فقه الجهاد جريدة الوطن القطرية عدد ١رمضان ١٤٢٨هـ . (والكتاب تحت الطبع) مكتبة وهبة القاهرة .

٨- الوسطية في كتاب : الخصائص العامة للإسلام :

وفي هذا الكتاب أطال الشيخ النفس في الحديث عن الوسطية[١] ، وعدّها خصيصة من أبرز خصائص الإسلام ، وقد أوضح القرضاوي عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن ؛ فقال : وهذا التوازن العادل في الحقيقة أكبر من أن يقدر عليه الإنسان ، بعلمه المحدود ، وعلمه القاصر ، فضلا عن تأثير ميوله ، ونزعاته الشخصية ، والأُسْرية والحزبية ، والإقليمية والعنصرية ، وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر .

ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه بشر ـ فرد أو جماعة ـ من الإفـراط أو التفريط ، كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ .

إن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود ـ ماديا كان أو معنويا ـ حقه بحساب وميزان ، هو الله الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرا ، وأحاط بكل شيء خبرا ، وأحصى كل شيء عددا ، ووسع كل شيء رحمة وعلما .

ولا عجب أن نرى هذا التوازن الدقيق في خلق الله ، وفي أمر الله جميعا ، فهو صاحب الخلق والأمر ، فظاهرة التوازن ، تبدو فيما أمر الله به ، وشرعه من الهدى ودين الحق ، أي : في نظام الإسلام ومنهجه للحياة ، كما تبدو في هذا الكون الذي أبدعته يد الله فأتقنت فيه كل شيء [٢].

ثم أوضح القرضاوي : أن ظاهرة التوازن في الكون كله ، فقال : ننظر في هذا العالم من حولنا فنجد الليل والنهار ، والظلام والنور ، والحرارة والبرودة ، والماء واليابس ، والغازات المختلفة ، كلها بقدر وميزان وحساب ، لا يطغى شيء منها على مقابله ، ولا يخرج عن حدِّه المُقدَّر له .

---

(١) كتب الشيخ قرابة (٣٠) صفحة ، وسأطيل النقل هنا عن قصد لأن كلام الشيخ هنا عن (الوسطية) كلام دقيق شامل ، وهو أكثر كلام الشيخ تأصيلا وسعة عن الوسطية ولهذا جعلته آخر الكتب التي اخترتها لبيان حديث الشيخ عن الوسطية .

(٢) انظر : الخصائص العامة للإسلام ص ١١٥.

وكذلك الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكونية في فضاء الله الفسيح، إن كلاً منها يسبح في مداره ، ويدور في فلكه ، دون أن يصدم غيره ، أو يخرج عن دائرته . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر:٤٩) ، ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (الملك:٣) ، ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس:٤٠)

والإسلام يريد من الأمة المسلمة : أن تعكس ظاهرة التوازن الكونية في حياتها وفكرها وسلوكها ، فتتميز بذلك عن سائر الأمم [١].

ثم تحدث القرضاوي بعد ذلك عن الوسطية في نقاط أساسية أوضح فيها :

١- مزايا الوسطية .

٢- فوائد الوسطية .

٣- معاني الوسطية .

٤- مظاهر الوسطية .

وهذا ما سنوضحه في الصفحات التالية .

* * *

(١) انظر : الخصائص العامة للإسلام ص ١١٦- ١١٨ باختصار .

(٥)

مزايا الوسطية وفوائدها ومعانيها عند القرضاوي

وبعد إبراز القرضاوي معنى الوسطية ؛ أخذ في عرض فوائد الوسطية ، وذكر ما لها من معان أخرى ، تميز منهج الإسلام وأمة الإسلام ، وتجعلها أهلاً للسيادة والخلود ، فقال : ولقد كان من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية شعارًا مميزًا لهذه الأمة التي هي آخر الأمم، ولهذه الرسالة التي ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث بها خاتم أنبيائه رسولاً للناس جميعًا ، ورحمة للعالمين .

على أن في الوسطية معاني أخرى تميز منهج الإسلام وأمة الإسلام وتجعلها أهلاً للسيادة والخلود .

١- **الوسطية تعني العدل** : فمن معاني الوسطية التي وُصفت بها هذه الأمة في الآية الكريمة ورُتبت عليها شهادتها على البشرية كلها ، العدل .

٢- **الوسطية تعني الاستقامة** : والوسطية تعني كذلك : استقامة المنهج ، والبعد عن الميل والانحراف . فالمنهج المستقيم ، وبتعبير القرآن : ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو ـ كما عبَّر أحد المفسرين ـ الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب .

٣- **الوسطية دليل الخيرية** : والوسطية كذلك دليل الخيرية ، ومظهر الفضل والتمييز ، في الماديات والمعنويات . ففي الأمور المادية نرى أفضل حبات العقد واسطته ، ونرى رئيس القوم في الوسط والأتباع من حوله . . . وفي الأمور المعنوية نجد التوسط دائما خيرا من التطرف .

٤ – **الوسطية تمثل الأمان**: أن الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد، بخلاف الوسط، فهو محمى ومحروس بما حوله، وفي هذا قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفًا

٥ – **الوسطية دليل القوة**: الوسطية دليل القوة، فالوسط هو مركز القوة، ألا ترى الشباب الذي يمثل مرحلة القوة وسطا بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ؟ ! والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره ؟ !

٦ – **الوسطية مركز الوحدة**: الوسطية تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقي ... فعلى حين تتعدد الأطراف تعددا قد لا يتناهى، يبقى الوسط واحدا، يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده، فهو المنتصف، وهو المركز. وهذا واضح في الجانب المادي والجانب الفكري والمعنوي عن سواه [1].

* * *

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام ص ١١٨- ١٢٢ باختصار.

(٦)
مظاهر الوسطية في الإسلام كما يراها القرضاوي

وحين تحدث القرضاوي عن الوسطية لم ينس أن يبرز مظاهرها ، وذكر من هذه المظاهر المتعددة :

١- وسطية الإسلام في الاعتقاد .

٢- وسطية الإسلام في العبادات والشعائر .

٣- وسطية الإسلام في الأخلاق .

٤- وسطية الإسلام في التشريع .

٥- التوازن بين الفردية والجماعية .[1]

وسطية الإسلام في الاعتقاد كما يراها القرضاوي :

تحدث القرضاوي عن وسطية العقيدة الإسلامية ، وجمع في كلامه ما أشار إليه العلماء السابقون ، كابن تيمية وابن القيم وغيرهما ؛ فقال :

١- فهو وسط في الاعتقاد بين الخرافيين الذين يسرفون في الاعتقاد ، فيصدقون بكل شيء ، ويؤمنون بغير برهان ، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس ، ولا يستمعون لصوت الفطرة ، ولا نداء العقل ، ولا صراخ المعجزة .

٢- وهو وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط ، وبين الذين يعددون الآلهة ، حتى عبدوا الأبقار ، وألّهوا الأوثان والأحجار !

---

(١) انظر : الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٣- ١٤٣.

وهو وسط بين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس ، وبين الذين يعتبرون الكون وهمًا لا حقيقة له .

٣- وهو وسط بين الذين يؤلّهون الإنسان ، ويُضفُون عليه خصائص الربوبية ، وبين الذين جعلوه أسير جبرية ، فهو كريشة في مهب الريح .

٤- وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة للإله . . . وبين الذين كذبوهم واتهموهم ، وصبوا عليهم كؤوس العذاب .

٥- وهو وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدرًا للمعرفة ، وبين الذين يعترفون للعقل بدور في نفي أو إثبات [١].

وسطية الإسلام في العبادات والشعائر كما يراها القرضاوي :

ثم تحدث القرضاوي عن وسطية الإسلام في العبادات والشعائر ، فقال : والإسلام وسط في عباداته ، وشعائره بين الأديان والنِّحل التي ألغت الجانب (الرباني) ـ جانب العبادة والتنسك والتأله ـ من فلسفتها وواجباتها ، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده . . . وبين الأديان والنِّحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج ، كالرهبانية المسيحية [٢].

وسطية الإسلام في الأخلاق كما يراها القرضاوي :

ثم تحدث القرضاوي عن وسطية الإسلام في الأخلاق فقال : والإسلام وسط في الأخلاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك ، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له ، وبين غُلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان ، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به [٣].

---

(١) للمزيد انظر : الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٣-١٢٦.

(٢) للمزيد انظر : المرجع السابق ص ١٢٥.

(٣) للمزيد انظر : المرجع السابق ص ١٢٦ ، ١٢٧.

وسطية الإسلام في التشريع كما يراها القرضاوي :

ثم تحدث القرضاوي عن وسطية الإسلام في التشريع فقال : والإسلام وسط كذلك في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي .

فهو وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم ، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة ، حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة [1].

وسطية الإسلام في التوازن بين الفردية والجماعية كما يراه القرضاوي :

ثم تحدث القرضاوي عن وسطية الإسلام في التوازن بين الفردية والجماعية فقال : وفي النظام الإسلامي تلتقي الفردية والجماعية في صورة متزنة رائعة ، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة ، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات ، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم . لقد كان موقف الإسلام فريدا حقا ، لم يَمِل مع هؤلاء ولا هؤلاء ، ولم يتطرف إلى اليمين ولا إلى اليسار [2].

وسطية (الفقه الإسلامي) كما يراها القرضاوي :

وفي كتابات الشيخ الفقهية المتعددة رأيناه يؤكد على وسطية الفقه الإسلامي؛ والتي تميز بها على غيره من القوانين الوضعية وغيرها ، يقول الشيخ في كتابه (الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد) : ويتميز الفقه الإسلامي بنزعة «الوسطية» التي جنبته التطرف والجحود ، وجعلته دائما في موضع الاعتدال والتوازن ، دون جنوح إلى إحدى جهتي الإفراط أو التفريط . وهذا أثر من آثار صفته الربانية ، فقلّما يسلم تفكير البشر من الغلو أو التقصير ، نتيجة التأثر بالمؤثرات البيئية والزمانية ، التي تدفع الإنسان إلى مواجهة التطرف ـ عادة ـ بتطرف مثله أو أشد .

---

(١) للمزيد انظر : الخصائص العامة للإسلام ص ١٣٣ ، ١٣٤.

(٢) للمزيد انظر : المرجع السابق ص ١٣٥- ١٤٣.

وهذا أمر لا حيلة للإنسان فيه ، لأنه مقتضى طبيعته ، وحكم جلبته ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء:١١) .

ولهذا رأينا الأنظمة البشرية والقوانين الوضعية تتفاوت فيما بينها وتتناقض في مواقفها ، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، كما نجد ذلك واضحا من الروحية والمادية ، أو الفرد والجماعة ، أو المثالية والواقعية ، أو الثبات والتطور أو غير ذلك من المتقابلات التي تباينت فيها المذاهب والفلسفات وتطرفت ، واتخذ الإسلام ــ وحده ــ منها الموقف الوسط العادل الذي سماه القرآن (الصراط المستقيم) والذي مدح الله به هذه الأمة فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [1] (البقرة:١٤٣) .

وسطية (الاقتصاد الإسلامي) كما يراها القرضاوي :

ولم ينس الشيخ ــ وهو يعدد خصائص الاقتصاد الإسلامي ــ أن يؤكد على وسطية هذا الاقتصاد ؛ بل اعتبرها (روح هذا الاقتصاد) ، يقول الشيخ : ومن القيم الرئيسية في الاقتصاد الإسلامي : قيمة الوسطية ، أو التوازن ، بل هذه الوسطية العادلة في الواقع هي روح هذا الاقتصاد ، فكما أن للإنسان روحا يحيا بها ، وراء هيكل المادي الحسي ، وهو سر تميزه وكرامته ، كذلك للأنظمة روح فيها ويميزها عن غيرها ، سواء أكانت أنظمة اقتصادية أم اجتماعية أم سياسة [2].

ويؤكد الشيخ على هذه الوسطية التي راعت حقوق كل من الفرد والمجتمع دون أدنى جور على هذا أو ذاك فيقول : لم يَجُر الاقتصاد الإسلامي على المجتمع ــ وبخاصة الضعفاء منه ــ كما جارت الرأسمالية .

ولم يجر على الفرد وحقوقه وحريته ، كما جارت الاشتراكية ، وبخاصة الماركسية .

---

(١) انظر : الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد ص١٤ ، ١٥ .

(٢) انظر : دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٨١ .

بل كان عدلا بينهما ، بلا تفريط ولا إفراط ، ولا طغيان ولا إخسار ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [1] (الرحمن:٧-٩) .

ثم يبدأ الشيخ بعد ذلك في إبراز أوجه التوازن والاعتدال ، أو الوسطية في هذا الاقتصاد ، ويجمل هذا التوازن في هذه الأمور :

التوازن بين رأس المال والعمل .

التوازن بين الإنتاج والاستهلاك .

التوازن بين المنتجات وبعضها وبعض .

التوازن بين مصالح المنتجين والوسطاء والمستهلكين .

التوازن بين الفئات الاجتماعية بعضها وبعض [2].

ويبرز الشيخ جانبين من أهم القيم الوسطية التي جاء بها الإسلام في مجال الاقتصاد فيقول : ولكن أهم القيم الوسطية والتوازنية الكبرى التي جاء بها الإسلام في مجال الاقتصاد تتعلق بجانبين من أبرز الجوانب :

الجانب الأول : يتصل بالمال بين الديانات والمذاهب والفلسفات التي تعلن الحرب عليه وعلى الدنيا والحياة وطبيعتها ، وبين المذاهب المادية التى تكاد تجعل المال إلها معبودا ، وتجعل الدنيا أكبر همها ، ومحور اهتمامها وتفكيرها .

الجانب الآخر : يتصل بالملكية بين المسرفين في إثباتها ، أيا كانت طرق اكتسابها ، المدللين لأصحابها ، فتكاد تكون لهم كل الحقوق دون أن يكون عليها واجبات . . وبين الذين يحاربون الملكية ، ويرونها منبع كل شر وظلم ، ويعملون على إلغائها من الحياة ومحو أصحابها من المجتمع [3].

(١،٢) انظر : دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٨٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٨٤ ، ٨٥ .

وسطية (الحضارة الإسلامية) كما يراها القرضاوي :

كما أن الشيخ القرضاوي يرى أن الحضارة الإسلامية التي قامت قرونا من الزمن ، وشملت بلادا شتى ، وأقطارا متعددة ؛ اتصفت هذه الحضارة بالوسطية ، وكانت الوسطية خطا ملازما لها ، ويؤكد الشيخ على أن العالم اليوم يحتاج إلى : حضارة جديدة ، لها فلسفة ورسالة غير فلسفة الحضارة الغربية ورسالتها ، الحضارة الغربية بشقيها : الرأسمالي والشيوعي ، فكلاهما ثمرة لشجرة واحدة ، هي الشجرة الملعونة في القرآن والتوراة والإنجيل ، هي الشجرة المادية النفعية [1].

ويرى الشيخ أن الحضارة المنشودة : لن تكون إلا حضارة الإسلام ، ولا هذه الرسالة إلا رسالة الإسلام . البشرية . في حاجة إلى حضارة تعيد إليها إيمانها بالله وبرسالاته ، وبلقائه وبحسابه وعدالة جزائه ، وبالقيم العليا التي لا يكون الإنسان إنسانا بغيرها ولا يكون للحياة مذاق ولا معنى بسواها[2] .

ويوضح الشيخ وسطية الحضارة الإسلامية ، وميزتها في الجمع بين متطلبات البشرية فيقول : البشرية في حاجة ماسة إلى حضارة جديدة تعطيها الدين ولا تفقدها العلم ، تعطيها الإيمان ، ولا تسلبها العقل ، تعطيها الروح ولا تحرمها المادة ، تعطيها الآخرة ولا تحرم عليها الدنيا ، تعطيها الحق ولا تمنعها القوة ، تعطيها الأخلاق ولا تسلبها الحرية .

إنه في حاجة إلى حضارة تتصل بها الأرض بالسماء ، وتتعانق فيها المعاني الربانية والمصالح الإنسانية ، ويتآخى فيها العقل المفكر والقلب المؤمن ، ويمضي فيها الإنسان قُدُما إلى الأمام مستضيئا بنور الوحي الإلهي . ونور الفكر البشري ، فكلاهما من فضل الله ورحمته بالإنسان (نور على نور) .

---

(١) للمزيد انظر : الإسلام حضارة الغد ص ١٤٩.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٥٠.

وليست هذه الحضارة إلا حضارة الإسلام ، التي يتجلى فيها التوازن والتكامل بصورة لا يقدر عليها إلا العليم الحكيم ، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض أو السماوات[1].

ويؤكد الشيخ على أهم خصائص الحضارة الإسلامية ، وما تجمعه في طياتها ، وهو (التوازن والتكامل) فيقول : إن الإسلام هو الرسالة الوحيدة التي تقدم للبشرية منهجا يتميز بالتوازن والتكامل ، ونعني بالتوازن : التوسط بين طرفي الغلو والتفريط ، اللذين لم يسلم منهما منهج بشري صرف ، أو منهج ديني دخله تحريف البشر ، وهو ما يعبر عنه القرآن باسم (الصراط المستقيم) ، وقد يعبر عنه بـ (الميزان) الذي يحب ألا يشوبه طغيان ولا إخسار .

فالطغيان : هو الميل إلى جانب الغلو والإفراط ، والإخسار : هو الميل إلى جانب التقصير والتفريط ، وكلاهما ذميم .

في هذا المنهج تلتقي المتقابلات التي يحسب كثير من الناس التقاءها ضربا من المحال ، لأنها في نظرهم متضادة ، والضدان لا يجتمعان ، ولكنها في الإسلام تلتقي في صورة من الاتساق المبدع ، بحيث يأخذ كل منها المسحة المناسبة له ، دون أن يطغى على مقابلة : لا طغيان ولا إخسار .

فهو يضع الموازين القسط .

بين الربانية والإنسانية .

بين الوحي والعقل .

بين الروحية والمادية .

بين الأخروية والدنيوية .

بين الفردية والجماعية .

بين المثالية والواقعية .

بين الماضوية والمستقبلية .

---

(١) انظر : الإسلام حضارة الغد ص ١٥٠.

بين المسئولية والحرية .
بين الاتباع والابتداع .
بين الواجبات والحقوق .
بين الثبات والتغير .

وبهذا التوازن تتميز الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم ، ويضعها في مرتبة الأستاذية [1].

وسطية الثقافة الإسلامية كما يراها القرضاوي :

والشيخ القرضاوي يرى كذلك : أن الوسطية خصيصة ملازمة للثقافة الإسلامية ، التي تستقى أصلا من المنهج الإسلامي . يقول الشيخ : يكمل خصيصة التنوع خصيصة أخرى هي «الوسطية» أو «التوازن» ، فهذه الثقافة تمثل المنهج الوسط ، للأمة الوسط ، بين إفراط الأمم المختلفة وتفريطها . ومع أن الطرفين قد يوجدان داخلها ، إلا أن الصبغة العامة لها ، والطابع الغالب عليها هو الوسطية ، التوازنية ، المستمدة من وسطية الإسلام ، ووسطية أمته .

تجد هذا واضحاً في الوسطية المتوازنة : بين العقل والوحي ، بين المادة والروح ، بين الحقوق والواجبات ، بين الفردية والجماعية ، بين الإلهام والالتزام ، بين النص والاجتهاد ، بين المثال والواقع ، بين الثابت والمتحول ، بين استلهام الماضي والتطلع إلى المستقبل [2].

وسطية (جيل النصر المنشود) كما يراها القرضاوي :

تحدثنا قبل ذلك عن المصطلحات عند القرضاوي ، وقلنا : إن من هذه المصطلحات : (**جيل النصر المنشود**) ، ولما تحدث الشيخ عن هذا الجيل كان مما وصفه بالوسطية والتوسط والتوازن والاعتدال في كل شيء ؛ فقال : وهم ـ مع صلابتهم وقوتهم وجهادهم وغيرتهم ـ متوازنون معتدلون ، على صراط مستقيم ،

---

(١) انظر : الإسلام حضارة الغد ص ١٤٩-١٥١.
(٢) انظر : ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ص ٣٠.

لا يميلون إلى اليمين، ولا ينحرفون إلى الشمال ، لا يَغْرَقون في الماديات ، ولا يُغْرِقون في الروحانيات ، يعلمون أن لربهم عليهم حقاً ، وأن لأنفسهم عليهم حقاً ، ولأسرهم عليهم حقاً ، ولمجتمعهم عليهم حقاً ، فهم يعطون كل ذي حق حقه ، غير جانحين إلى الإفراط ، ولا مائلين إلى التفريط ، لا يطغون في الميزان ولا يخسرون ، بل يقيمون الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان .[1]

ويقول أيضاً : لا يهملون الجسم من أجل تصفية الروح ، ولا يغفلون الروح من أجل متاع الجسم . يمزجون بين الروح والمادة ، ويربطون بين الدنيا والآخرة ، ويجمعون بين العلم والإيمان ، بين الواقعية والمثالية ، بين العقل الذكي والقلب النقي ، بين الثبات على الغايات ، والتطور في الأساليب ، بين أداء الواجبات وطلب الحقوق ، بين الحرص على القديم والاستفادة من الجديد ، لا ينقطعون عن الماضي ، ولا ينعزلون عن الحاضر، ولا يُفرّطون في قديم نافع ، ولا يضيقون بجديد صالح .

يطالبون أنفسهم بالواجبات التي عليهم ، قبل أن يطالبوا غيرهم بالحقوق التي لهم ، فجعل ما شغلهم : « ماذا عليّ » ؟ وليس : « ما ذا لي » ؟

نهارهم نهار العالمين ، وليلهم ليل القانتين ، تراهم بالنهار فرساً وتحسبهم بالليل رهباناً ، كما وُصِف أصحاب رسول الله وتابعوهم بإحسان ، لا يطغى عمل النهار على عمل الليل ، ولا عمل الليل على عمل النهار ، لا تلهيهم نافلة عن فريضة . ولا فرض عن فرض مثله أو أهم منه .

يتمتعون بالحلال من زينة الله ، التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ضاربين في الأرض مبتغين من فضل الله ، ولكن أحدهم يبيت طاوياً بطنه على الطوى ، ولا تمتد يده ولا عينه ولا أمنيته إلى حرام ، فهم أعقل من أن يشتروا النار بلقمة أو شهوة ، وأوعى من أن يبيعوا الجنة بجناح بعوضة [2].

* * *

(١) انظر : جيل النصر المنشود ص ٤٥ ، ٤٦.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٧)
الوسطية في شعر القرضاوي

ولما كان القرضاوي شاعرا[١] ؛ وأي شاعر! فقد ضمّن ديوانيه الحديث عن الوسطية وأهلها ، ولم تكن أبيات الشيخ وقصائده مجرد خطب وعظية ، ولا مجرد أغراض بعيدة عن حياته الدعوية ، وإنما عادة ما يمزج الشيخ أغراض دعوته بأغراض شعره ، وهذا ما رأيناه في شأن (الوسطية) .

ومن ذلك دعوة شباب الإسلام إلى التوسط والاعتدال فيقول في قصيدته «ابن الإسلام» :

يا ابن الحنيفة دين الحق، هـا هـو ذا ... يدعوك ، فانهض وشمر عاملا نشطا
خير الأمور سبيل القصد، فامض بـه ... ولا تمل عنه ، لا وكساً ولا شططا
بين المغالاة والتقصير منزلة ... هي التي جعلتنا أمة وسطا
فاثبت على منهج الإسلام في ثقة ... مستعلياً يتحدى ضغط من ضغطا
والزم طريق رسول الله في بصر ... وفي اعتدال، وجانب خلط من خلطا[٢]

فانظر كيف مزج الشيخ بين الغرض الشعري والهدف الدعوي ، وكيف اقتبس من القرآن ما يشير إلى إحدى خصائص هذه الأمة المباركة ، ثم إنه أكد على ضرورة التزام هذا النهج الوسط ؛ لأنه طريق رسول الله ﷺ ، وفيه النجاة والفلاح .

---

(١) للمزيد راجع ما ذكرته عن الشيخ وشعره في كتابي :(المنهج الدعوي عند القرضاوي) تحت عنوان : (الوسائل والأساليب في منهج القرضاوي الدعوي) ص ١٨٧نشر مكتبة وهبة القاهرة.

(٢) انظر : المسلمون قادمون ص ٣٦ ، ٣٧.

وفي قصيدته «في ذكرى المولد» تحدث عن التوازن والاعتدال كصفة من صفات شباب الإخوان فقال :

يا سيد الرسل طب نفساً بطائفة ... باعوا إلى الله أرواحاً وأبداناً
قادوا السفينة فما ضلوا ولا وقفوا ... وكيف لا وقد اختاروك ربانا
عاشوا على الحب أفواهاً وأفئدة ... باتوا على البؤس والنعماء إخواناً
الله يعرفهم أنصار دعوته ... والناس تعرفهم للخير أعواناً
والليل يعرفهم عباد هجعته ... والحرب تعرفهم في الروع فرسانا[1]

وهنا أيضا يظهر ثناء الشيخ على هذه الطائفة الربانية التي جمعت بين الدين والدنيا ، بين عبادة الله ونفع الخلق ، بين دمعة المحراب وفروسية الميدان ، وهذا هو الاعتدال والوسطية التي جاء بها الإسلام .

وقال أيضا ــ وهو يتحدث على لسان العلمانيين ورجال الاستخبارات ــ موضحا خطورة التيار الوسطي المعتدل من أبناء الصحوة :

واحذر لدى التمييز والتصنيف ... ما بين داعي الرفق والعنيف
فكل هؤلاء في الهوا سوا ... من لم يمارس عنفه فقد نوى
لكن أهل الاعتدال أخطر ... لأنهم على الطريق أصبر
هم يربحون جولة فجولة ... وبعد ذلك يبلعون الدولة[2]

وهنا يحذر الشيخ شباب الصحوة من رجال المخابرات ؛ الذين لا يفرقون بين فصيل وفصيل ، أو جماعة وجماعة ، فكلهم ــ في نظره ــ في سلة واحدة ، وهي سلة التطرف والإرهاب ، إذ أنهم عاجلا أو آجلا ــ في نظرهم ــ طلاب سلطة ، لكن أخطر الأصناف هم : دعاة الوسطية والاعتدال ، أو بالأحرى من يطلق عليهم : أصحاب الإسلام السياسي .

* * *

(١) انظر : نفحات ولفحات ص٤٤.
(٢) انظر : المسلمون قادمون ص ٦٧.

(٨)

آليات تنفيذ الوسطية عند القرضاوي

ولم يكن القرضاوي ليترك أمر الوسطية سائبا هلاميا رجراجا مائعا ؛ دون أن يضع له آليات تدعم هذه التوجه ؛ وفي معرض إجابة الشيخ عن سؤال[١] وجه إليه يطلب إيضاح هذه الآليات ذكر الشيخ آليات ثلاث ، هي :

١- لا بد أن نبدأ بالتوعية لإيضاح المراد بالوسطية ، فبعض الناس قد يفهمون الوسطية التسهيل في كل شيء ، الوسطية أن تقف وسطاً بين الدعاة إلى المذهبية الجامدة المقلدة المتعصبة ودعاة اللامذهبية الذين يريدون أن يلقوا بالمذاهب في سلة المهملات ، فلا بد أن تقف بين هذا وذاك ، أن تقف بين الذين يرفضون التصوف كله سنيه وملتزمه ، والذين يأخذون التصوف بعجره وبجره ، بين الذين يريدون أن نمشي وراء الغرب بحضارته بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحمد منها وما يكره ، وبين الذين يرفضون الغرب كله ولا يريدون التعامل معهم مطلقا ، بين الذين يريدون أن يعملوا عقولهم وحدها ولا يلتفتون إلى النص ، والذين يريدون أن نلتفت إلى النص ونلغي العقل ، نحن نريد أن نوازن بين العقل والنقل ، للوسطية معاني كثيرة ، وضحتها في كتبي ، نريد الوعي بماهية هذه الوسطية .

٢- ونسعى إلى إكثار تلاميذ الوسطية وهذا ما أقوم به من خلال تأليف الكتب والمقالات ، وعن طريق المحاضرات والخطب .

٣ ـ أن نؤسس مؤسسات تقوم على مبادئ الوسطية وقد قمت بإنشاء موقع على الإنترنت واسمه « إسلام أون لاين » افتتحناه في ٤ أكتوبر ١٩٩٩م[٢].

---

(١) نص السؤال الذي وجه للشيخ : ما هي رؤيتكم لآليات تنفيذ هذه الوسطية بعيداً عن الجهد الفردي ، وكيف يمكن تجسيد هذه الوسطية في إطار مؤسساتي ؟

(٢) انظر: الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العام الإسلامية، مكتبة وهبة ط الأولى ٢٠٠٠م ص٩٣،٩٤.

(٩)

القرضاوي ومركز دراسات الوسطية

ولما رأى القرضاوي أن أحد آليات تنفيذ الوسطية ، وإيجادها على أرض الواقع : إنشاء مراكز للوسطية ، تتبناها وتعمل على شيوعها في أوساط المثقفين والعامة ؛ حرص الشيخ على أن يكون له السبق في هذا المضمار ، فكان من أول الداعين والساعين لإنشاء مركز للوسطية ، وعمل الشيخ بالفعل على إنشائه ، وسماه :(مركز دراسات الوسطية)[1].

وأراد الشيخ لهذا المركز أن يكون خطابه : إسلامي المصدر ، إنساني الوجهة ، كوني الاهتمام ، معاصرا للقضايا والتحديات ، وسطي المنهج ، رباني الغاية .

وفي ورقة الإعداد لهذا المركز ارتأى الشيخ : أن يسير المركز على نهج الوسطية للأمة الوسط ، فلا يغلو مع الغالين ، ولا يفرّط مع المفرطين ، يرفض التطرف والتسيب كليهما ، ويؤمن بالتوازن والاعتدال . الوسطية التي لا تغفل المقاصد ، ولا تهمل النصوص ، بل تنظر إلى النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية ، وترى أن الله تعالى لم يشرع الأحكام إلا لمصلحة عباده ، وأنه لا يوجد حكم شرعي مقطوع به يخالف مصلحة للناس مقطوعا بها .

كما تستفيد هذه الوسطية من كل قديم نافع ، وترحب بكل جديد صالح . وتوازن بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر . وتؤمن بأن في الشريعة مرونة وقدرة على مواجهة التطور في كل زمان ومكان .

---

(١) لم ير هذا المشروع النور حتى الآن ، لظروف خارجة عن إرادة الشيخ ، منها : كثرة أعماله وأعباؤه ... وغير ذلك. ولعل (المركز العالمي للوسطية بالكويت) والذي يتولى الأستاذ الدكتور : عصام البشير ، الأمانة العامة فيه ، عوضا عن ذلك ، وخصوصا أن الدكتور : عصام البشير واحد من تلاميذ الشيخ ، الذين حملوا فكره الوسطي ، بشموله وتكامله وتنوعه وتوازنه ، ولهذا كان المركز حريصا كل الحرص على دعوة الشيخ في كثير من لقاءاته ومؤتمراته .

وتخاطب الوسطية كل الناس ، على اختلاف أجناسهم ، وأربابهم ، ولغاتهم ، واتجاهاتهم ، كل بلسانه ، لتبين لهم ، وتعمق الإنسانية المشتركة بينهم ، فهي تبنى ولا تهدم ، وتجمع ولا تفرق .

وعن سبب إنشاء المركز قال الشيخ : هناك بيئة عالمية وحالة عربية وإسلامية تجعل من قيام المركز وضعية وضرورة « حالية » ، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية :

١ - الحضور العالمي للإسلام بشكل غير مسبوق في التاريخ المعاصر ، فقد أضحى الإسلام حاضرا في مختلف المجالات ، بدءاً من قضايا الحرب والقتال ، والعنف والإرهاب ، ومرورا بقضايا الديمقراطية والحكم والاقتصاد والمرأة والأسرة ، وانتهاء بقضايا الكون والبيئة .

٢ - هذا الحضور يطرح بإلحاح تقديم رؤى إسلامية ؛ اعتمادا على دراسات علمية معاصرة .

٣ - أن مراكز الدراسات الإسلامية الموجودة ـ حول العالم ـ لا يلمس لها حضور ؛ أو اتصال مع القضايا والتحديات المعاصرة .

٤ - هناك أيضا تداعي بعض حكومات الغرب إلى صياغة ما يسمى بـ « الإسلام المعتدل »، واعتمادها في ذلك على جهات قد لا تتمتع بالأهلية والمصداقية . ويخشى أن يكون هذا الإسلام المعتدل هو (الإسلام المعدل) ليتوافق مع فلسفة الغير ومصالحه .

٥ - وعلى الطرف الآخر ـ الإسلامي ـ هناك شيوع لآراء وأفكار مغالية ومتطرفة ، وترويج لأفكار مفرطة ومتسيبة ، وكلاهما يدعي الإسلامية ، ولكنهما تنحرفان بالإسلام عن جادته .

وعدد الشيخ الأدوار الأساسية لهذا المركز فيما يلي :

١ - ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال .

٢ - مقاومة الغلو والتطرف والتفريط والتسيب .

٣ - الشهادة على الحالة الإسلامية ، أو المراجعات الإسلامية .

٤ - الاجتهاد المبادر .

٥ - جسر للتفاعل الثقافي والفكري .

* * *

(١٠)

هل الوسطية عند القرضاوي تعني التنازل ؟

وقد يتوهم البعض أن الوسطية عند القرضاوي تعني التنازل أو التساهل ؛ وهذا أبعد ما يكون الشيخ عنه ، إذ لماذا يتنازل الشيخ ؟ وما هو المقابل ؟ وما الداعي أو الدافع إلى هذا التنازل ، أو ذاك التساهل ؟ !

وأضرب هنا مثالين ليتضح هذا الأمر .

المثال الأول : الحوار مع الفرق المخالفة (الشيعة والإباضية) :

إذا كانت وسطية الشيخ هي التي دعته إلى الحوار مع الفرق المخالفة (الشيعة والإباضية) وانتقد الكثيرون على الشيخ هذا الموقف ، وعدوه مأخذا من المآخذ التي تؤخذ عليه ، متوهمين أن الشيخ ربما يتنازل عن أصل من الأصول أو مبدأ من المبادئ ، فالحق أن هؤلاء كانوا مخطئين في اعتقادهم ، غير مدركين لموقف الشيخ ، وأنا أنقل هنا شيئا مما ذكره الشيخ في كتابه :(مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية) حيث وضع الشيخ في الكتاب مبادئ عشرة يرى أنها ضرورية لإبقاء هذا الحوار ، فقال تحت عنوان (المصارحة بالحكمة) : ومن مبادئ الحوار الإسلامي الإسلامي : أن يصارح بعضنا بعضا بالمشاكل القائمة ، والمسائل المعلقة ، والعوائق المانعة ، ومحاولة التغلب عليها بالحكمة والتدرج والتعاون المفروض شرعا بين المسلمين بعضهم وبعض .

فليس من الحكمة أن نخفي كل شيء ، أو نسكت عنه ، أو نؤجله وندعه معلقا دون أن نجرؤ على إثارته أو الكلام فيه ، فهذا لا يحل مشكلة ، ولا يقدم علاجا ، أو يقرب بين الفريقين خطوة واحدة . . . إلى أن يقول الشيخ : ومما

صارحت به الإخوة في إيران : ضرورة مراعاة حقوق الأقلية السنية بين الشيعة ، أو الحقوق الشيعية بين السنة .

وكان مما قلته للإخوة هناك : أن في مصر أقلية قبطية ، ولهذا يراعى في كل حكومة أن يكون لها وزيران أو ثلاثة على الأقل .

وفي إيران أقلية كبيرة من أهل السنة من الأكراد ومن العرب ، وهم شافعية ، ومن البلوش وهم حنفية ، ولكنهم لا يمثلون في الحكومة ولا بوزير واحد ، وكل المحافظين الذي يولون عليهم من الشيعة .

فقيل لي : هم ممثلون في مجلس الشورى ، قلت : ولكن ليس بنسبة عددهم ، على أن مجلس الشورى شيء ، ومجلس الوزراء شيء آخر .

ومما قلته للإخوة أيضا في إيران : إن أهل السنة في طهران يقدرون بمليونين أو أكثر ، وهم يطالبون منذ سنين بإقامة مسجد لهم ، يجتمعون فيه لأداء فريضة صلاة الجمعة ، ويشاركهم في ذلك السفراء العرب والمسلمون ، فلم تستجب السلطات لهم حتى الآن .

قال لي أحد المشايخ : ولماذا لا يصلي أهل السنة مع الشيعة في مساجدهم؟

قلت : إن صلاة الجمعة ليست مطلوبة عند الشيعة طلبها عند أهل السنة ، ما دام الإمام غائبا ، ولهذا لا تقام جمعة في طهران إلا في مسجد واحد هو مسجد الجامعة .

على أن من حق كل طائفة أن تصلي في المسجد الذي يحقق مطالبها ، ولا يجوز أن يفرض على الناس ما يخالف معتقداتهم ومذاهبهم[1] .

وهنا نلحظ أن الشيخ طالب الطرف الآخر بما هو واجب عليه ، وذكره بما لأهل السنة من حقوق مضيعة ؛ وما أكثرها !

---

(١) انظر : مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية ص ٨٨-٩١ بتصرف ، طبعة مكتبة وهبة.

المثال الثاني : الحوار بين الأديان :

وكما كان الشيخ واضحا في التقريب بين الفرق الإسلامية ؛ كان كذلك واضحا في الحوار بين الأديان ، ولم تكن الوسطية التي تبناها الشيخ تجعله يبدي أدنى تنازل ، بل حسم الشيخ أمر التقريب ، وفرّق بين التقريب المرفوض ــ وهو الذي تذوب فيه الفوارق ــ وبين التقريب المقبول الذي يتبناه ويدعو إليه ؛ وأكد على ضرورة تحديد المفاهيم ــ فقال : التقريب بين الأديان كلمة تطلق ، ويراد بها أكثر من معنى ، أو مفهوم . بعضها مرفوض ، أو يجب أن يرفض ، وبعضها مقبول ، أو لا بأس أن يقبل .

فأما المعنى أو المفهوم المرفوض للتقريب بين الأديان ، فهو الذي يقصد به : إذابة الفوارق الجوهرية بين الأديان المختلفة بعضها وبعض ، كما بين «التوحيد» في الإسلام و«التثليث» في النصرانية» ، وما بين «التنزيه» في العقيدة الإسلامية ، و«التشبيه» في العقيدة اليهودية .

ومن نتائج ذلك : اختلاف النظرة إلى المسيح عليه السلام بين المسلمين والنصارى ، فالنصارى ـ على اختلاف فرقهم ومذاهبهم ـ يعتبرون المسيح إلهاً أو ابن إله ، أو ثلث إله ، أو عضواً في شركة ثلاثية من الآلهة : الأب والابن وروح القدس .

والمسلمون ينظرون إلى المسيح بوصفه رسولاً من أولي العزم من الرسل ، أنزل الله عليه الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين ، وآتاه البينات ، وأيده بروح القدس ، وعلمه الكتاب والحكمة ، ومنحه من الآيات الكونية والمعجزات الحسية ما لم يؤت غيره من الرسل ، وذكر القرآن هنا من الآيات ما لم يذكر في الإنجيل ، مثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ومثل المائدة التي أنزلت من السماء ، وسميت باسمها «سورة المائدة»

ولكن المسيح ـ مع هذا ـ بشر رسول ، وعبد رسول ، دعا الناس إلى عبادة الله لا إلى عبادة نفسه .

كما أن من الفوارق الأساسية بين المسلمين وأهل الكتاب : أن كتاب المسلمين «القرآن» محفوظ من كل تغيير وتبديل ، بضمان الله تعالى ووعده الذي لا يخلف : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩) . ولا عجب أن يحفظه عشرات الألوف من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى إن الأعاجم ليحفظونه ما يخرمون منه حرفاً ، وأكثرهم لا يعرفون معنى كلمة مما يحفظونه .

بخلاف التوراة والإنجيل اللذين قامت الأدلة على وقوع التحريف فيها بالحذف والزيادة والتغيير ، وهذا لم يقله علماء المسلمين وحدهم ، بل قاله كثيرون في عصرنا الحديث من علماء الغرب أنفسهم ، من يهود ونصارى على اختلاف نحلهم [١].

نعم لقد ألزمت الشيخ وسطيتُه عدم التنازل في أي جوهر أو أصل من أصول الدين ، سواء كان هذا التنازل في العقائد أو العبادات ؛ فقال : ولهذا نرى أن كل دعوة تقوم على أساس التنازل عن أمر من الأمور الجوهرية في الدين ، سواء أكانت في العقائد ، أم في العبادات ، أم في أمر الحلال والحرام ونحوه من أمور التشريع الأساسية للفرد أو للأسرة أو المجتمع ، إنما هي دعوة مرفوضة شرعاً[٢].

ومن ثم فقد وضع الشيخ لهذا الحوار أسساً وعلامات أهمها : ألا يسقط الحوار فريضة الدعوة التي كلفنا الله بها ، والتأكيد على عالمية هذه الدعوة الخاتمة.[٣]

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ بتصرف.

(٢،٣) انظر : ثقافتنا بين الانفتاح الانغلاق ص ٥٢ ، وانظر فتاوى معاصرة ج٣ ص ٥٤١-٥٤٣ باختصار .

(١١)
هل الوسطية ملازمة للقرضاوي مطلقا

والشيخ القرضاوي يدرك جيدا أن الوسطية في مفهومها ليست وسطية حسابية ، ولا وسطية تتطلب البينية مطلقا ، ومن هنا فإن الشيخ من جهة البينية أو الوسطية الحسابية كثيرا ما يبتعد عنها . ولذلك نراه أحيانا آخذا أحد الطرفين (متطرفا نوعا ما !) ، (أو متعصبا نوعا ما !) واقفا كالجبل الأشم ، لا يتزحزح ولا يلين . ولكن هذا التطرف والتعصب ، أو الثبات والجمود ؛ إنما يصدر من إيمان الشيخ بما يتعصب له ، وهذا في حد ذاته هو الوسطية ، نعم هو الوسطية ؛ لأن الوسطية تعني فيما تعنيه : التشدد في الأصول ، والتساهل في الفروع .

وقد وجه أحد الصحفيين للشيخ سؤالا يستغرب فيه من جنوح الشيخ إلى أحد الطرفين بعيدا عن الوسطية جاء فيه : أين هي وسطية القرضاوي في عملية السلام ، لماذا لم نر وسطية القرضاوي في تعامله مع اتفاقيات السلام الإسرائيلية الفلسطينية ، وهو أمر واقع في الساحة ، فكان تعاملكم حاداً جداً وهذا مشهود في وسائل الإعلام فكيف ترد على هذا الادعاء ؟

وكانت إجابة الشيخ صريحة واضحة بدأها بسؤال قال فيه : هل معنى الوسطية التنازل عن الحقوق والحرمات والمقدسات ؟ هذا ليس من الوسطية في شيء ، فالوسطية أحياناً تقتضي أشياء تتمسك بها ولو بالسيف ، ففي الوسطية ثوابت لا تقبل التنازل ولا تقبل الاجتهاد والتطوير ، فأنا في بعض القضايا ميسر عادة ، وفي بعض الأشياء أشدد ، أشدد في الربا والتدخين ، وأصدرت فتوى بتحريم جوائز السحب الكبرى بالملايين فهذه لا دخل لها ، لأنها ترويج لنوع جديد من القمار بين أبناء الأمة ، فتقتضي الوسطية التشديد ، حيث يحسن التشديد ،

والتيسير حيث يحسن التيسير ، أي أن نضع الشيء في موضعه كما قال أبو الطيب المتنبي قديماً :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فإذن وضعنا الندى في موضع السيف لا يجدي نفعاً خصوصاً مع إسرائيل ، كما قال المتنبي :

إن أنت أكرمت الكريم ملكتـــه وإن أنت أكرمت اللئيم تمـــردا[1]

وكم من المرات رأينا الشيخ يثور ويشتد ، ويقف موقفاً ربما توهمه البعض بعداً عن الوسطية ، والسبب في ذلك : أن الأمر لا يقبل السكوت ، ولا ينفع فيه إلا الصدع بالحق ؛ وليكن ما يكون ، ومن هذه المواقف :

١- في أحداث الانتفاضة وجه الشيخ أيضاً إلى حكام العرب كلمات قوية في خطبة الجمعة جاء فيها : هؤلاء الحكام هل لهم آذان تسمع ؟ وإذا كانت لهم آذان فهل لهم قلوب تتوجع ؟ وإذا كانت لهم قلوب فهل عندهم عزائم تتشجع ؟ وإذا كانت لهم عزائم فهل عندهم سيوف سوف تشهر [2].

٢- وفي إحدى اجتماعات القمة العربية وجه الشيخ رسالة إلى القادة المجتمعين قال فيها : لماذا لا تستردون ثقتكم بأنفسكم ، ألا تعيدون إلى الجامعة حيويتها ، لماذا لا يقف حكام العرب وقفة الرجال الأبطال كما تنتظر منهم شعوبهم وكما نحسه من نبض الشارع العربي [3].

٣- وفي خطبة نارية ألقاها الشيخ بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٧م خاطب الشيخ قادة العرب بعد اجتماع طارئ للجامعة العربية ، وآخر لمنظمة المؤتمر الإسلامي جاء فيها : كنا نريد من القادة العرب أن يقولوا لأمريكا : لا ، لا نستطيع أن نقدم لكم أي تسهيلات ولا أن نفتح لكم بحرنا ولا برنا ولا جونا ، لأن ديننا يحرم علينا تحريماً قاطعاً أن نعينكم على إخواننا ، ديننا يوجب علينا أن نكون معهم

---

(١) انظر : الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العام الإسلامية ص ٩٣ ، ٩٤.

(٢) انظر : جريدة الشرق القطرية عدد ٥٠٤٩.

(٣) انظر : جريدة الشرق القطرية عدد ٥٠٢٨.

لنحاربكم ، فإذا عجزنا عن ذلك فأقل ما يجب علينا ألا نقدم تسهيلات لغزوهم ، كان عليهم أن يقولوا هذا ، أن يقولوا : لا ، حيا الله البرلمان التركي الذي خالف حكومته وعارض أن تكون أرض تركيا مجالاً لانطلاق الجيوش والطائرات ، ودل هذا على جذورهم الإسلامية حقاً وإن كنت الآن أخشى عليهم أن هناك من يقول لهم : أتريدون أن تكونوا عرباً أكثر من العرب؟ ملكيين أكثر من الملك؟ إذا كان العرب فتحوا أرضهم وأجواءهم وبرهم وبحرهم فلماذا تقفون؟ لماذا تخسرون هذه المليارات؟ الأتراك كانوا سيكسبون من هذه الحرب مليارات ، والعرب يقدمون هذه الأشياء مجاناً لوجه الله ولسواد عين أمريكا ؛ بل ربما أخشى أن يساهم بعضهم في دفع فاتورة الحساب ، حيا الله الأتراك وأرجو أن يثبت الله أقدامهم ولا يقلدوا العرب فتقليد العرب حرام في هذه الحالة ، كنت أريد من قادة العرب أن يقولوا لأمريكا :لا ، لا نستطيع ذلك لأن عروبتنا ودينا وإسلامنا لا يجيز لنا ذلك ، ونخشى أن نفتضح أمام شعوبنا ، أن تنكشف سوءاتنا ، أن يبصق الناس في وجوهنا أن يلعننا التاريخ ونكون سبة لأولادنا وأحفادنا حين يقولون : هؤلاء الذين ساندوا الأمريكان في ضرب إخوانهم ، إنها لعنة التاريخ ، كنت أود من قادة العرب أن يقفوا هذا الموقف ولكن قادة العرب ــ إلا من رحم ربك ، وقليل ما هم ــ إذا تكلموا مع الأمريكان اصطكت أسنانهم وارتعدت فرائصهم وارتعشت أجسامهم ولم يستطيعوا أن يقولوا شيئاً ، لم يستطيعوا أن يقولوا لا .

إلى أن يقول : ولكن يبدو أن قادة العرب ما عادوا يحملون قلوباً ذكية ولا أنوفاً حمية ، ولا عزائم أبية ، ولا سيوفاً عربية ، أصبح حكام العرب كما قال المثل (ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل) ، ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ (المنافقون:٤) .

٤- وفي خطبة الجمعة التي ألقاها بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٠٤ بعد مجازر شارون في رفح وغيرها من قرى ومدن فلسطين وجه كلاماً إلى حكام العرب الذين سيجتمعون غداً في تونس وكان مما قاله :

هل نجد أحداً يتحمس ويغار ؟ هل نجد من يقول أدافع عن هؤلاء ؟ ومن؟ العرب ؟ زعماء العرب ؟ قادة العرب ؟ حكام العرب الذين سيجتمعون غداً في تونس؟ هل هؤلاء الذين سيحمون فلسطين ويحمون رفح ؟ إننا لم نر أحداً احتج بقوة ؟ لم نجد من صرخ في وجه إسرائيل ، بل رأينا الصمت ، رأينا الشياطين الخرس ، رأيناهم في صمت القبور ، هذا ما رأيناه عند العرب للأسف ولا ندري ماذا سيفعلون غداً في قمتهم ؟ هل ستكون مثل القمم الأخرى ؟ أم سيقولون شيئاً جديداً ؟ أغلب الظن أن العهد بهم هو هو ، هل يحيون من موات ؟ هل يجتمعون من شتات ؟ هل يستيقظون من سبات؟ هيهات هيهات . !

٥- ومن شعر الشيخ في ذلك :

يا مصر حظك مثل حظي عاثر ... كم قد نكبت بغاشم وخئون
قلنا : انقضى عهد الظلام وأقبلت ... مصر على عهد أغر مكين
يمضي بأمتنا على سنن الهدى ... ويردها لتراثها الميمون
ويعيد عهد الراشدين يمده ... عز الرشيد ونهضة المأمون
أمل أضاء ـ كلمحة ـ في ثورة ... كنا لها في الروع خير معين
فإذ الذي ثرنا عليه تعيده ... كالثور حين يدور في الطاحون
ثرنا على ملك ، فجاءوا عشرة ... كل يريد الملك غير رزين
وإذا رئيسهمو يرى في نفسه ... ملك الملوك ووارث الفرعون
يا ثورة كنا حماة ظهورها ... صرنا وقود وطيسها المجنون
قالوا : مباركة . . وما كانت سوى ... حمى على الأحرار أو طاعون
يا هرة أكلت بنيها غدرة ... قبحت أماً كنت غير حنون
أفهكذا يجزى الجميل بضده ... أين الوفاء وأهله . . دلوني؟[1]

* * *

(١) انظر : نفحات ولفحات ص ٦٦ ، ٦٧.

(١٢)

لماذا تبنى القرضاوي تيار الوسطية الإسلامية؟

وإذا كان القرضاوي قد تبنى الوسطية منهجا فقهيا ، فقد تبناها كذلك فكريا وعمليا ، ولذلك حين ينظر إلى ما يعرف بالتيار الوسطي في الحركة الإسلامية فلا بد أن يكون القرضاوي واحدا من هذا التيار ؛ بل على رأسه ، وأحد منظريه المعروفين .

إن المراقب للصحوة الإسلامية يرى أنها ليست حركة واحدة ، ولا فصيلا واحدا ، ولا تيارا واحدا ؛ وإنما الصحوة الإسلامية تمثل فصائل وتيارات متعددة ؛ يجمع كل المراقبين لها أنها تتفق على حبها للإسلام ، والعمل له ، والدعوة إلى تحكيم شريعته ، وتحرير أوطانه ، وتوحيد أمته ، والوقوف في وجه الأعداء الكائدين له ، وإن اختلفت في الوسائل والأساليب .

والملاحظ أن الشيخ تبنى التيار الوسطي ، ودافع عنه ، وكتب له ، وعمل على ترشيده ، وبذل له قصارى جهده ، وتألم لكبواته التي يقع فيها ، وقد أعلن الشيخ هذا مرارا وتكرارا ، في خطبه ومحاضراته ، وقد أشار إلى هذا في كتابه : (مستقبل الأصولية الإسلامية) فقال : وهناك فصيل آخر غير هذه الفصائل[١] ، وهو أوسعها قاعدة ، وأكثرها أتباعا ، وأرسخها قدما ، وأطولها عمرا ، وهو فصيل (الوسطية الإسلامية) ، وهو يمثل الجمهور الأعظم ، ممن يمكن تسميتهم (الأصوليين) أو جمهور الصحوة الإسلامية ، وهذا الفصيل أو هذا التيار هو الذي أتبناه ، وأعتقد أنه يمثل الإسلام الحق علما وعملا[٢] .

---

(١) تحدث الشيخ قبل ذلك عن ثلاثة فصائل:(فصيل التكفير ـ فصيل العنف ـ التشدد والجمود).

(٢) انظر : مستقبل الأصولية الإسلامية ص ٣٢ .

وقد تبنى الشيخ هذا التيار وعمل له لعدة أسباب :

أولا : لأنه التيار الذي يمثل أعرض قاعدة في الصحوة الإسلامية ، وما عداه يعتبر بمثابة قنوات صغيرة ، ربما تفرعت من هذا المجرى الكبير ، إلا أنها انفصلت عنه بعد ذلك .

وثانيا : لأنه التيار الأعرق والأقدم[1] في تاريخ الصحوة أو التجديد الإسلامي ، والتيارات أو الفصائل الأخرى مثل : التكفير والهجرة ونحوها ، حديثة العهد ، لا تضرب في التاريخ إلى غور بعيد .

وثالثا : لأنه التيار الذي يرجى طول عمره واستمراره ، فإن الغلو دائما قصير العمر ولا ينتظر له البقاء طويلا ، وفقا لسنة الله ، فإن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

ورابعا : لأنه ـ في رأيي على الأقل ـ هو التيار الصحيح ، الذي يعبر عن وسطية المنهج الإسلامي الذي سماه القرآن (الصراط المستقيم) ووسطية الأمة الإسلامية ، ويجسد يسر الإسلام وسماحته ، كما يمثل وسطية أهل السنة بين الفرق الإسلامية المختلفة ، ممن يبالغون في تضخيم دور العقل على حساب النص ، أو دور النص على حساب العقل .

وحتى نضع النقاط على الحروف ، أذكر هنا الخصائص أو المعالم البارزة التي تميز هذا التيار ، في فهمه للإسلام وعرضه له .

وأهم هذه المعالم أو الخصائص ، يتمثل في أمور أربعة :

١- الجمع بين السلفية والتجديد .

٢- الموازنة بين الثوابت والمتغيرات .

٣- التحذير من التجميد والتمييع والتجزئة للإسلام .

---

(١) هناك التيار السلفي ، وهو من أقدم التيارات الفكرية في تاريخ الصحوة ، ولكنه ليس فصيلاً واحداً ، ومعظم المنتمين إليه لا يؤمنون بشرعية الانتماءات أو الجماعات .

٤- الفهم الشمولي للإسلام [١].

وكما أن لهذا التيار خصائصه ومعالمه ؛ فله كذلك عند القرضاوي عناصره الأساسية التي ينطلق بها ، وهي :

١- تبني منهج التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة .

٢- تبني الدعوة إلى التجديد والاجتهاد .

٣- تبني النظرة الوسطية المعتدلة [٢].

* * *

(١) انظر : الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي ص٤١ ، ٤٢ طبعة مكتبة وهبة .

(٢) انظر : مستقبل الأصولية الإسلامية ص ٣٢ وما بعدها.

(١٣)

الصفات المميزة لتيار الوسطية عند القرضاوي

والشيخ القرضاوي حين دعا إلى الوسطية وقاد تيارها ، كانت هذه الوسطية ذات معالم واضحة عند الشيخ ، لأن هذا التيار الوسطي هو المخلّص والملاذ للأمة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين [١].

وأهم صفات هذا الفكر الوسطي كما يراها الشيخ هي أنه :

وسط بين دعاة المذهبية الضيقة ، ودعاة اللامذهبية المنفرطة .

وسط بين أتباع التصوف وإن انحرف وابتدع ، وأعداء التصوف ، وإن التزم واتبع .

وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط ، ودعاة الانغلاق على النفس بلا مبرر .

وسط بين المحكمين للعقل : وإن خالف النص القاطع ، والمغيبين للعقل : ولو في فهم النص .

وسط بين المقدسين للتراث ، وإن بدا فيه قصور البشر ، والملغين للتراث ، وإن تجلت فيه روائع الهداية .

وسط بين المستغرقين في السياسة على حساب التربية ، والمهملين للسياسة كلية بدعوى التربية .

وسط بين المستعجلين لقطف الثمرة قبل أوانها ، والغافلين عنها حتى تسقط في أيدي غيرهم بعد نضجها .

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٥٤.

وسط بين المستغرقين في الحاضر الغائبين عن المستقبل ، والمبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرءونه .

وسط بين المقدسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان تعبد ، والمتحللين من أي عمل منظم كأنهم حبات عقد منفرط .

وسط بين الغلاة في طاعة الفرد للشيخ والقائد كأنه الميت بين يدي الغاسل، والمسرفين في تحرره كأنه ليس عضواً في جماعة .

وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات المحلية ، والدعاة إلى الإقليمية دون أدنى ارتباط بالحركة العالمية .

وسط بين المسرفين في التفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر ، والمسرفين في التشاؤم فلا يرون إلا الظلام ، ولا يرقبون للظلام فجراً .

وسط بين المغالين في التحريم كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال ، والمبالغين في التحليل كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حرام .

وسط بين الذين ينكرون الإلهام مطلقاً ، فلا يعترفون بوجوده ولا بأثره . . . والذين يبالغون في الاعتداد به ، حتى جعلوه مصدراً للأحكام الشرعية .

وسط بين دعاة التشدد ولو في الفروع والجزئيات . . ودعاة التساهل ولو في الأصول والكليات .

وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع . . وفلسفة الواقعيين الذين لا يؤمنون بالمثل العليا .

وسط بين دعاة الفلسفة «الليبرالية» التي تعطي الفرد وتضخمه على حساب المجتمع . . ودعاة الفلسفة الجماعية «الماركسية» التي تعطي المجتمع وتضخمه على حساب الفرد .

وسط بين دعاة الثبات ولو في الوسائل والآلات . . ودعاة التطور ولو في المبادئ والغايات .

وسط بين دعاة التجديد والاجتهاد وإن كان في أصول الدين وقطعياته . . ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وإن كان في قضايا العصر التي لم تخطر ببال السابقين .

وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة . . والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص .

وسط بين دعاة الغلو في التكفير حتى كفروا كل المسلمين المتدينين . . والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين .

هذه هي الوسطية التي تبناها هذا الفكر ، وإن كان الغالب على مجتمعاتنا اليوم : السقوط بين طرفي الإفراط والتفريط ، إلا من رحم ربك ، وقليل ما هم [1].

تلك هي أهم ميزات التيار الوسطي الذي آمن به الشيخ ، وتبناه ودعا إليه .

* * *

(١) انظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وانظر : الشيخ يوسف شخصية العام الإسلامية ص ١٤٥ ، وانظر : أولويات الحركة الإسلامية ١٠٧.

(١٤)

القرضاوي يرى انحسار الوسطية في بعض الفترات

وعلى الرغم من كثرة كلام الشيخ عن الصحوة الإسلامية ، وثنائه عليها ، وترشيده لها كتابة وتأليفا ، ونصحا وتوجيها ، فإنه يرى : التزام الصحوة الإسلامية بالنهج الوسط قد انحسر في بعض الأوقات ، ويرى : أن بعض الإسلاميين قد انحصرت عندهم الألوان الكثيرة في لونين اثنين لا ثالث لهما ، هما الأبيض والأسود ، وليس بينهما ألوان أخرى ، مما يعرفه الناس من الألوان الأصلية والفرعية ، التي لكل منها درجات لا تكاد تحصر .

وبعض هؤلاء يكاد يحصر الألوان كلها في واحد ، ويجعل الأصل في الألوان كلها وفي الحياة كلها هو : (السواد) تبعا للمنظار الذي يرى فيه الناس والأشياء .

وبهذه النظرة السوداء المتشائمة : حدد أجوبة جاهزة لكل شيء ، يطلقها كالقنبلة ، ولا يبالي ما أصابت من الحياة والأحياء .

فالمجتمع جاهلي كله . .

والحياة إثم كلها . .

والناس كلهم كفار ، أو منافقون . .

والعالم كله وحوش . .

وكل ما يمارسه الناس في حياتهم المعاصرة من لهو وفنون : حرام في حرام.

يجب أن نعترف أن الفترة الماضية ـ وخصوصا في الخمسينيات والستينيات ـ كانت مجالا خصبا لانتشار نوع من الأفكار السوداء في الساحة الإسلامية . فقد

غلب الفكر الذي ينزع إلى الرفض والتشاؤم والاتهام ، وسوء الظن بالآخرين : على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم ، حتى المسلمين منهم[1] .

ويرجع الشيخ السبب في انحسار هذا التيار الوسطي إلى : الجو الخانق الذين كانت تعيشه الحركة الإسلامية ورجالها ودعاتها ، الذين نصبت لهم المشانق جهرة ، أو قتلوا بأدوات التعذيب خفية ، أو صبت عليهم ألوان التنكيل والتشريد من كل جهة ، في حين : فتحت الأبواب أمام الشيوعيين والعلمانيين وكل خصوم الإسلام[2] .

وعليه فإن مصلحة الأمة كلها تتطلب فتح باب الحرية أمام التيار الوسطي ؛ حتى لا يطغى التطرف والتشدد ، أو التساهل والتسيب فتهلك الأمة .

* * *

(١) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص١١٥، ١١٦ ، وانظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٤٣ ، ٢٤٤.

(٢) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص١١٦ ، ١١٧ ، وانظر : الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٤٤ ، ٢٤٥.

(١٥)

معالم الوسطية ونشأتـــها عند القرضاوي

كانت الوسطية ــ التي عُرف بها القرضاوي منذ أكثر من نصف قرن ــ أخذت في الظهور والانتشار ــ كما ذكرنا ــ على ألسنة الدعاة وغيرهم ، فرأى الشيخ ــ حتى لا يدَّعي هذا المنهج (الوسطية) مَن لا يفقهه ولا يعيه ، وحتى لا يخوض فيه كل مَن هب ودب ، بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ــ رأى : أن من اللازم عليه أن يضع للقارئ المسلم معالم أو ملامح أو ضوابط : تحدد الأصول الفكرية والشرعية لهذا التيار أو هذا المنهج ، لتكون منارات تهدي من أراد الاهتداء بهذا المنهج ، والسير في ضوئه على نور وبينة ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك:٢٢) [١].

ماذا يقصد الشيخ بالمعالم ؟

والذي ألحظه من خلال هذه المعالم ــ والتي شغلت الشيخ جهدا وفكرا ، وأتعبته بحثا وتأصيلا ــ إنما يريد الشيخ من خلالها أن يظهر الإسلام بنصاعته ، والدين بصبغته .

فهو يريد من خلالها أن يظهر شمول الإسلام ، ومرجعية القرآن والسنة ، وترسيخ المعاني والقيم الربانية ، وفهم التكاليف والأعمال فهما متوازنا يضعها في مراتبها الشرعية . . . إلى آخر هذه المعالم التي هي في الأصل حقائق الإسلام التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ .

---

(١) انظر : بحث (الوسطية ودور الإعلام في إبرازها) المقدم من الشيخ لندوة (اقرأ) الفقهية الإعلامية الرمضانية (١٤٢٧هـ) ص٢٦، وهو منشور على موقع الشيخ . "www.qaradawi.net"

متى بدأت فكرة المعالم ؟

كانت فكرة المعالم تراود الشيخ منذ فترة طويلة ، ولكن ضيق الوقت ، وكثرة انشغالاته ، ومزاحمة الأعمال له من كل جهة ، وعلى كل صعيد ، وفي كل مكان ؛ جعلته يؤجل ويؤخر ـ وهو الذي يكره التأجيل والتأخير ـ لكنه مع وضوح هذه المعالم لديه ، وقناعته بها ، وجد أن من اللازم عليه أن يضع تلك المعالم حتى لا يصبح مفهوم (الوسطية) مائعا رجراجا هلاميًا ، يفسره كل مَن شاء ، بما شاء ، ويدعيه كل فريق لنفسه ، زاعمًا أن ما يدعو إليه هو الوسطية التي يدعو إليها الداعون ، ويُنوِّه بها المنوِّهون .

وكانت البداية في لندن في شهر يوليو سنة ٢٠٠٤م ، وفي أثناء انعقاد الجمعية العامة التأسيسية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، وفيها وزع الشيخ ورقة كتب فيها (عشرين معلمًا) لمنهج الوسطية .

وبعد عودة الشيخ إلى الدوحة ، كثرت أشغاله ، وتعددت أعماله ، وانشغل الشيخ عنها بأعمال أخرى ؛ ربما كانت قبل المعالم في سلم الأولويات ، ثم بدأ الشيخ في بداية صيف ٢٠٠٦م ، يعاود الكتابة مرة ثانية ، وجاءت ندوة (اقرأ) الفقهية ، والتي يدعى لها الشيخ في كل عام ، فنظر في هذه المعالم العشرين ، وأعاد صياغتها وترتيبها ، وأبقاها على عددها العشرين .

وبعد انتهاء الندوة ، وقبل عودة الشيخ إلى الدوحة قادما من مكة ، قلب الشيخ أوراقه ، ونظر في معالمه ، كرة ؛ بل كرتين ، ثم زاد عليها عشرا ، فغدت ثلاثين ، وتميزت الثلاثين بالطول نوعا ما ، فعمد الشيخ إلى اختصارها فغدت ثلاثين معلما ، تميزت بالإطالة ، ثم اختصرها الشيخ ثانية ، وهي كالتالي :

مختصر معالم الوسطية :

١- الفهم الشمولي التكاملي للإسلام ، بوصفه : عقيدة وشريعة ، علما وعملا ، عبادة ومعاملة ، ثقافة وأخلاقا ، حقا وقوة ، دعوة ودولة ، دينا ودنيا ، حضارة وأمة .

٢- الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية ، مع ضرورة فهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية .

٣- ترسيخ المعاني والقيم الربانية ، والتركيز على عبادة الله تعالى بوصفها الغاية التي خلق لها الإنسان ، وهي تتجلى في الشعائر الأربع الكبرى ، وما يليها من ذكر الله والدعاء والاستغفار ، هذا بالإضافة إلى العبادات الباطنية : من صدق النية والإخلاص لله ، والخشية له ، . . وغيرها ، وهي أساس التصوف الحقيقي الذي يقوم على (الصدق مع الحق ، والخُلُق مع الخَلق) .

٤- فهم التكاليف والأعمال فهما متوازنا ، يضعها في مراتبها الشرعية ، وينزل كل تكليف منزلته وفق ما جاءت به النصوص . فلا يتقدم ما حقه التأخر ، ولا يتأخر ما حقه التقدم ، وهو ما أطلقنا عليه اسم (فقه الأولويات) .

٥- تأكيد الدعوة إلى تجديد (الفقه القرآني والنبوي) وهو يضم عدة ألوان من الفقه المنشود : فقه سنن الكون ، وفقه مقاصد الشرع ، وفقه المآلات ، وفقه الموازنات ، وفقه الاختلاف ، والفقه الحضاري ، وفقه التغيير ، وفقه الواقع . إلى جانب (فقه الأولويات) .

٦- التركيز على القيم الأخلاقية التي عنى بها الإسلام ، سواء كانت أخلاقا فردية أم اجتماعية ، ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائرية هي كل شيء ، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كل شيء .

٧- تجديد الدين من داخله ، وإحياء مبدأ الاجتهاد الذي لا تحيا الشريعة إلا به ، على أن يكون الاجتهاد من أهله وفي محله .

٨- الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر . مع ضرورة مراعاة الثبات في الأهداف والغايات وفي الأصول والكليات ، والمرونة والتطور في الوسائل والآليات وفي الفروع والجزئيات .

٩- تبني منهج التيسير والتخفيف في الفقه والفتوى ، وإن كان ولا بد من التشديد ، فليكن في الأصول لا في الفروع . والتيسير المطلوب هنا : لا يعني تبرير الواقع ، أو مجاراة الغرب ، أو إرضاء الحكام .

١٠- تطوير مناهج الدعوة إلى الإسلام : للمسلمين : تفقيها للتعاليم ، وتصحيحا للمفاهيم ، وتثبيتا وتذكيرا للمؤمنين وبيانا لحقائق الإسلام ، وردا على أباطيل خصومه . . ولغير المسلمين ، باعتبار دعوة الإسلام دعوة عالمية . مع تبني منهج التبشير في الدعوة ، ليتكامل مع التيسير في الفتوى .

١١- التدرج الحكيم : في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير ، وعدم استعجال الشيء قبل أوانه ، والثمرة قبل نضجها . والتدرج سنة كونية ، كما هو سنة شرعية .

١٢- تأكيد الدعوة إلى المزج بين الروحانية والمادية ، بين الربانية والإنسانية ، بين العقل والوجدان ، بحيث يأخذ كل جانب منها حقه ، دون طغيان على الجانب الآخر . ومن هنا تتكامل العناية بالعبادة والثقافة والرياضة والفنون ، فالعبادة تغذي الروح ، والثقافة تغذي العقل ، والرياضة تغذي الجسم ، والفن يغذي الوجدان .

١٣- الدعوة إلى السلام مع كل من بسط يده للسلام ، مع التمسك بفرضية الجهاد في سبيل الله للدفاع عن حرمة الدين والمقدسات ، وعن المستضعفين في الأرض ، والوقوف في وجه الفراعنة والمستكبرين في الأرض . مع ضرورة بيان أنواع الجهاد : النفسي والدعوي والمدني وغيرها .

١٤- توعية الأمة بأن الجهاد مفروض عليها فرض عين لتحرير أرضها من كل سلطان أجنبي مسلط عليها . وأول أرض يجب تحريرها هي أرض فلسطين .

١٥- الاعتراف بحقوق الأقليات الدينية ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من تركهم وما يدينون ، والتأكيد على أنهم من (أهل دار الإسلام) ومقتضى هذا : أنهم بلغة عصرنا (مواطنون) لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، إلا ما اقتضاه التميز الديني .

١٦- احترام العقل والتفكير ، والدعوة إلى النظر والتدبر : في آيات الله الكونية والتنزيلية ، وتكوين العقلية العلمية ، ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء ، أو لعامة الناس . ونفي التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح .

١٧- الدعوة إلى المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية ، مثل : العدل والشورى والحرية والكرامة ، وحقوق الإنسان .

١٨- توكيد ما جاء به الإسلام من إعطاء المرأة حقوقها ومكانتها وكرامتها ، وتحريرها من رواسب عصور التخلف والتراجع الإسلامي ، ومن غوائل الغزو الحضاري الغربي الذي أخرج المرأة من فطرتها ، ولم يراع أنوثتها .

١٩- العناية بأمر الأسرة ، باعتبارها الدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح ، ورعاية حقوق كل من الزوجين على صاحبه ، وعدم اللجوء إلى الطلاق إلا إذا تعذر الوفاق ، وشرعية تعدد الزوجات بقيوده وشروطه ، دون توسع ولا تحريم .

٢٠- احترام حق الشعوب في اختيار حكامها من الأقوياء الأمناء ، دون تزييف لإرادتها ، أو فرض حاكم عليها يقودها رغم أنوفها ، ولها أن تسائله وتحاسبه ، وتعزله إذا تمادى في غيه بالطرق السلمية .

٢١- تقوية اقتصاد الأمة ، والعمل على تكاملها فيما بينها ، حتى تكتفي اكتفاء ذاتيا ، وبناء هذا الاقتصاد على فقه الشريعة ومقاصدها ، والتخطيط العلمي والسعي العملي لتأسيس اقتصاد إسلامي متميز عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الشيوعي .

٢٢- الإيمان بوجود الأمة الإسلامية وخلودها ، والإيمان بفرضية وحدتها ، وبالأخوة الدينية بين أبنائها ، على اختلاف مدارسها ومذاهبها ، واعتبار الفرق المختلفة كلها من الأمة الواحدة ، ما دامت تصلي إلى القبلة ، وتؤمن بالقرآن الكريم ، وبالسنة المشرفة .

٢٣- تحسين الظن بكل من شهد الشهادتين ، وصلى إلى القبلة ، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين ، والأصل حمل حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك ، وتجنب التفسيق والتكفير ما وجد إلى التجنب سبيل ، ولا سيما ما كان سببه التأويل .

٢٤- العناية بالأقليات الإسلامية في العالم ، باعتبارها جزءا من الأمة المسلمة ، وعلى الأمة أن تعينهم على أن يعيشوا بإسلامهم في مجتمعاتهم ، عناصر حية فاعلة ، وإن يكن لهم فقههم الخاص ، وأن يكون شعارها : استقامة على الدين بلا انغلاق ، واندماج في المجتمع بلا ذوبان .

٢٥- الإيمان بالتعددية الدينية والعرقية واللغوية والثقافية والسياسية ، وضرورة التعايش بين الحضارات ، والتلاقح بين الثقافات ، وتفاعل بعضها مع بعض ، واقتباس بعضها من بعض ، دون انكماش ولا استعلاء .

٢٦- العناية بعمارة الأرض ، وتحقيق التنمية المتكاملة ، مادية وبشرية ، ورعاية البيئة بكل مكوناتها ، والتعاون على كل ما ييسر المعيشة للناس ، وكل ما يشيع الجمال في الحياة ، واعتبار ذلك عبادة وجهادا في سبيل الله .

٢٧- حث دعاة الإصلاح والتغيير على مقاومة التخلف والفساد ، فالتخلف بعطل عقل الأمة ، والفساد يعطل ضميرها . ولا يكون الإصلاح حقيقيا إلا إذا تم بإرادتنا وبأيدينا ، لا أن يفرض علينا ، ومدخل كل إصلاح هو إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة ، وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله .

٢٨- العمل على تجميع كل القوى العاملة لنصرة الإسلام في صف واحد ، وليس من الضروري ، بل لعله ليس من المفيد : أن يجتمعوا في جماعة أو حركة واحدة ، على أن الاختلاف والتعدد بين العاملين لا يضر إذا كان اختلاف تنوع وتخصص لا اختلاف صراع وتناقض .

٢٩- الإشادة بما قدمته أمتنا من منجزات تاريخية بهرت العالم ، ومن فتوحات في زمن قياسي ، كانت تحريرا للشعوب من مستعبديها ، والتنويه بما أسسته أمتنا من حضارة جمعت بين العلم والإيمان . وعدم الاكتفاء بالتغني بأمجاده ، والبكاء على مآسيه . بل واجبنا هو استلهام الماضي ، والارتقاء بالحاضر واستشراف المستقبل .

٣٠- الانتفاع بأفضل ما في تراثنا الرحب المتنوع : من ضبط الفقهاء ، وتأصيل الأصوليين ، وحفظ المحدثين ، وعقلانية المتكلمين ، وروحانية المتصوفين ، ورواية المؤرخين ، ورقة الأدباء والشعراء ، وتأمل الحكماء ، وتجارب العلماء ، مع العلم بأن هذا التراث كله غير معصوم ، فهو قابل للنقد والمراجعة والمناقشة والترجيح أو التضعيف . ولكن الأمة في مجموعها لا تجتمع على ضلالة[1] .

ملاحظتان على معالم الشيخ :

ولي على معالم الشيخ الثلاثين ملاحظتان :

الملاحظة الأولى : (هل هذه معالم للوسطية أم حقائق الإسلام)؟

والملاحظة الأولى فيما خطته يد الشيخ في تلك المعالم الناصعة ؛ أن جل تلك المعالم هي في حقيقة الأمر حقائق الإسلام ، وشريعة الإسلام التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ .

ولعل أكثر المعالم لصوقا بالوسطية هذان المعلمان :

١- الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر . مع ضرورة مراعاة الثبات في الأهداف والغايات وفي الأصول والكليات ، والمرونة والتطور في الوسائل والآليات وفي الفروع والجزئيات .

---

(١) انظر : كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها د : يوسف القرضاوي ص٥٦ وما بعدها وزارة الأوقاف الكويتية ط الأولى ٢٠٠٧م .

٢- تبني منهج التيسير والتخفيف في الفقه والفتوى ، وإن كان ولا بد من التشديد ، فليكن في الأصول لا في الفروع . والتيسير المطلوب هنا : لا يعني تبرير الواقع ، أو مجاراة الغرب ، أو إرضاء الحكام .

أما ما سوى ذلك من المعالم فلن يخرج عن كونه حقائق الإسلام الواضحة الراسخة ، التي دعا إليها الصحب الكرام ، والفقهاء العظام ، والأئمة الأعلام ، ومن قبلهم جميعا سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا ندرك أن الشيخ في معالم الوسطية التي يدعو إليها ؛ يريد أن يظهر الإسلام وحقائقه ، بعيدا عن تنطع المتنطعين ، وتفلت المتفلتين ، وهنا أيضا تلتقي الوسطية مرة أخرى مع حقائق الإسلام التي لا تخرج عن الوسطية والاعتدال ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣) .

الملاحظة الثانية : معالم القرضاوي وأصول البنا :

وأما الملاحظة الثانية فالذي يطالع معالم القرضاوي الثلاثين بعد أن يقرأ أصول البنا العشرين ؛ يرى اشتراكا نوعا ما بين البنا في أصوله والقرضاوي في معالمه .

الجامع بين الأصول والمعالم :

ولعل التقارب والتشارك ليس مستبعدا لأننا نعلم أن المدرسة الفكرية للبنا والقرضاوي مدرسة واحدة ، وأن كلا منهما أدلى بدلوه في تشييد هذه المدرسة ، وإن كان السبق للبنا بالإنشاء والبناء ، فإن للقرضاوي مع غيره من روّاد الحركة ـ وإن كان تلميذه ـ التتميم والتأصيل .

وهذه بعض الأصول والمعالم المتقاربة ، معنى ولفظا أحيانا .

الأصل أو المعلم	أصول البنا	معالم القرضاوي
١- الشمول	الإسلام نظام شامل ... يتناول مظاهر الحياة جميعا .. فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء	الفهم الشمولي التكاملي للإسلام ، بوصفه : عقيدة وشريعة ، علما وعملا ، عبادة ومعاملة ، ثقافة وأخلاقا ، حقا وقوة ، دعوة ودولة ، دينا ودنيا ، حضارة وأمة .
٢- المرجعية العليا	والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .	الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية ، مع ضرورة فهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية .
٣- ضوابط التكفير	لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين ، وعمل بمقتضاهما ـ إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر	تحسين الظن بكل من شهد الشهادتين ، وصلّى إلى القبلة ، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين ، والأصل

	معلوما من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر .	حمل حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك ، وتجنب التفسيق والتكفير ما وجد إلى التجنب سبيل ، ولا سيما ما كان سببه التأويل .
٤- احترام العقل والدعوة إلى التفكير	والإسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء ، و(الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها) .	احترام العقل والتفكير ، والدعوة إلى النظر والتدبر : في آيات الله الكونية والتنزيلية ، وتكوين العقلية العلمية ، ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء ، أو لعامة الناس . ونفي التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح .

الفارق بين الأصول والمعالم :

أما الفارق بين أصول البنا ومعالم القرضاوي ، فيظهر أكثر ما يظهر في المخاطَب بهذه الأصول أو تلك المعالم ؛ فالبنا في أصوله إنما يخاطب فئة معينة ، وهي كما قال البنا : إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم ، وقدسية فكرتهم ، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها ، أو يموتوا في سبيلها ، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات [1]. والتي يحاول بها البنا

(١) انظر : مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ص ٣٤٢ ط دار الدعوة الإسكندرية .

أن يجمع العاملين للإسلام على هذه الأصول ، سواء المنتمين لجماعة الإخـوان ، أو المنتمين إلى غيرها من الجماعات العاملة للإسلام ، أو المؤسسات الدينية الرسمية كالأزهر والأوقاف ، والتي من الممكن أن تكون حدا أدنى يجتمع عليه هؤلاء ، تاركين ما يدعو إلى الخلاف وراء ظهورهم .

أما معالم القرضاوي الثلاثين ، فهي تشرح رؤية التيار الوسطي لفهم حقائق الإسلام ، ولكنها ليست للعاملين في حقل الدعوة وميدان العمل الإسلامي فحسب ، وإنما هي للمسلمين كل المسلمين ، وليست لفئة دون فئة [1] .

* * *

(١) لعله من المفيد هنا أن نذكّر بأن المفاهيم التي كان البنا يحاول أن يلقي بها في ميدان المثقفين كـ (الشمول ومرجعية الإسلام العليا ... وغيرها) استطاع القرضاوي أن يصل بها إلى المسلم العادي ، أو ما يطلق عليهم البعض : العوام .

(١٦)

المدرسة الوسطية وخصائصها كما يراها القرضاوي

تحدث الشيخ القرضاوي ـ في عدد من كتبه ـ عن مقاصد الشريعة وكيفية فهمها ، وذكر الشيخ أن في هذه القضية مدارس ثلاثا ، لكل منها وجهة وطريق[(١)] .

١ـ المدرسة الأولى : التي تُعنى بالنصوص الجزئية ، وتتشبث بها ، وتفهمها فهمًا حَرفِيًّا ، بمعزل عما قصد الشرع من ورائها . وهؤلاء الحَرْفيون هم الذين سميتهم من قديم (الظاهرية الجُدُد) . فهم ورثة الظاهرية القدامى ، الذين أنكروا تعليل الأحكام ، أو ربطها بأي حكمة أو مقصد ، كما أنكروا القياس بل قالوا : إن الله تعالى كان يمكن أن يأمرنا بما نهانا عنه ، وأن ينهانا عما أمرنا به . حتى إنه كان يمكن أن يأمرنا بالشرك ، وينهانا عن التوحيد .

والمدرسة الثانية : هي المدرسة المقابلة لهؤلاء ، وهي التي تزعم أنها تُعنَى بمقاصد الشريعة ، و(روح) الدين ، معطّلة النصوص الجزئية للقرآن العزيز ، والسنة الصحيحة ، مُدّعية أن الدين جوهر لا شكل ، وحقيقة لا صورة . فإذا واجهتهم بمحكمات النصوص لفّوا وداروا ، وردوا صحيح الحديث ، وهم في الواقع لا يعرفون صحيحا من ضعيف ، وتأوّلوا القرآن فأسرفوا ، وحرَّفوا الكلم عن مواضعه ، وتمسكوا بالمتشابهات ، وأعرضوا عن المحكمات . وهؤلاء هم (أدعياء التجديد) وهم في الواقع دعاة التغريب والتبديد .

والمدرسة الثالثة : المدرسة الوسطية التي لا تغفل النصوص الجزئية من كتاب الله تعالى ، ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ ، ولكنها لا تفقه هذه النصوص الجزئية بمعزل عن المقاصد الكلية ، بل تفهمها في إطارها وفي ضوئها ، فهي ترد الفروع إلى أصولها ، والجزئيات إلى كلياتها ، والمتغيرات إلى ثوابتها ،

---

(١) انظر : السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ص ٢٢٨-٢٨٦ ، وانظر : تيسير الفقه جـ١ صـ٩٠-٩٨ ، وانظر : مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٥٥-٨٦ ، وانظر : دراسة في فقه مقاصد الشريعة ص ٣٩ ، ٤٠ .

والمتشابهات إلى محكماتها ، معتصمة بالنصوص (القطعية) في ثبوتها ودلالتها ، فالاستمساك بها : استمساك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومتشبثة كذلك بما أجمعت عليه الأمة إجماعًا يقينيًا حقيقيًا .

سمات المدرسة الوسطية وخصائصها [1]:

وقد تحدث الشيخ عن سمات المدرسة الوسطية وخصائصها ، ولخصها في ست سمات ، وهي :

١- الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها لمصالح الخلق .
٢- ربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض .
٣- النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا .
٤- وصل النصوص بواقع الحياة وواقع العصر
٥- تبني خط التيسير والأخذ بالأيسر على الناس .
٦- الانفتاح على العالم ، والحوار والتسامح .

مرتكزات المدرسة الوسطية :

وقد تحدث الشيخ كذلك عن مرتكزات هذه المدرسة ، وجمعها في خمس مرتكزات ، وهي :

١- البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم .
٢- فهم النص في ضوء أسبابه وملابساته .
٣- التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة .
٤- الملائمة بين الثوابت والمتغيرات .
٥- التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات[2].

---

(١) جعل الشيخ هنا للمدرسة الوسطية سمات ومرتكزات ، وأحسب أن المقصود بالسمات : الصورة الظاهرة الواضحة التي تميز هذه المدرسة عن غيرها ، والتي تظهر للقاصي والداني. أما المرتكزات :فهي الأسس التي تعتمد عليها المدرسة ، في إظهار سماتها ، والتي ربما لا يدركها المرء إلا بعد لأي وجهد. فالسمات أشبه بالصورة الخارجية ، والمرتكزات أشبه ما يكون بالجوهر أو الأساس ألتي تقوم عليه.

(٢) انظر : السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ص ٢٢٨-٢٨٦ ، وانظر : تيسير الفقه جـ١ ص ٩٠-٩٨ ، وانظر : مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٥٥-٨٦ ، وانظر : دراسة في فقه مقاصد الشريعة ص ٣٩ وما بعدها.

(١٧)
نماذج من وسطية القرضاوي

وقد استطاع القرضاوي أن يضرب نماذج طيبة للوسطية في التعامل مع قضايا وأمور حساسة ، جنح الكثيرون فيها ذات اليمين وذات الشمال ، ومن هذه النماذج :

١- وسطية القرضاوي في التعامل مع الحكام[١] :

ابتليت الأمة الإسلامية في قرنها الماضي ـ بعد خروج الاستعمار ـ بنوعية من الحكام ـ كانت في كثير من الأوقات ، وفي كثير من البلدان ـ امتدادا لعصر الاستعمار البائد ، الذي رحل عن ديارنا ، وخلف على كرسي الحكم من يدين له بالولاء ، ويسبح بحمد أولياء نعمته ليل نهار .

ولئن كان من العلماء من آثر السلامة لنفسه فسكت عن الجهر بالحق ، ومنهم من ساير الحكام رغبة أو رهبة ، ومنهم من اعتزل الحياة السياسية متأثراً بالنزعات الصوفية ، فإن نشأة القرضاوي الإخوانية جعلته لا يسكت عن قول الحق ، ولا يفتأ أن يبصر الناس بما لهم من حقوق عند الحكام ، وما على الحكام من واجبات للمحكومين .

وكان وجود القرضاوي وإخوانه نسمة عليلة من نسمات الرجاء التي هبت على قلوب اليائسين ، وومضة من ومضات النور التي أضاءت دياجير الظلام ، وسوطاً من سياط الحق سلطه الله على ظهور الطغاة الظالمين .

---

(١) للمزيد من موقف الشيخ من الحكام ؛ راجع ما ذكرته في كتابي : (القرضاوي ... مرتكزات دعوته وجبهاته الدعوية) مكتبة وهبة ط الأولى ٢٠٠٧م .

وقد اختار القرضاوي لنفسه ـ كما اختار الأحرار من العلماء والدعاة ـ موقفا وسطا من الحكام ، فلم يكن الشيخ ممن سار في ركاب السلاطين فسبحوا بحمدهم ، وهتفوا بأسمائهم ، وصفقوا لأهوائهم ، وضحكوا في وجوههم ، ونفخوا البخور بين أيديهم ، فباركوا مظالمهم، وشاركوهم طغيانهم ومفاسدهم .

هذا الصنف وصفه الشيخ بقوله : رضوا أن يجعلوا العلم خادماً للسياسة ، وأن يبيعوا الدين بالطين ، وأن يكون العلماء أبواقاً للسلاطين ، وإخواناً للشياطين .

وهؤلاء لا يستحون أن يغيروا جلودهم في كل حين كالثعابين ، وأن يلبسوا لكل حالة لبوسها غير متورعين ، ولا خجلين ، فهم مستعدون لأن يحللوا ما حرموه من قبل ، وأن يحرموا ما حللوه ، لا تبعاً للدليل والبرهان ، ولكن تبعاً لتغيير السلطان . . فلكل مقام مقال ، ولكل زمان دولة ورجال ، ومقالهم جاهز لكل مقام ، وهم دائماً رجال كل دولة ، وكل زمان !

هذا الصنف الخبيث يحاط عادة بهالة من الدعاية تستر جهله ، وتغطي انحرافه ، وتنفخ فيه ليكون شيئاً مذكوراً ، وتحدث حوله ضجيجاً يلفت إليه الأسماع ، ويلوي إليه الأعناق ، وإن كان هذا لا يجعل من جهله علماً ، ولا من فجوره تقوى ، ولكن :

كمثل الطبل يسمع من بعيد وباطنه من الخيرات خال[1]

ولم يكن الشيخ كذلك ممن تطرف في موقفه فجعل الحكام كفارا مارقين ، أو ملحدة مشركين ، وإنما وقف الشيخ موقفا وسطا ، بين هؤلاء وهؤلاء ، نعم وقف الشيخ موقفا وسطا لم يعمم فيه ، وإنما فرّق بين حاكم وحاكم ، بين من ارتمى في أحضان العدو وباع الدولة ، والوطن ، وبين من غلبت عليه شهوته ، واتبع هواه ، فكان الحكام في نظر الشيخ نوعين :

---

(١) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٧١ ، ٧٢.

النوع الأول : هو الذي يعترف بالإسلام ديناً للدولة وبالشريعة الإسلامية مصدراً للقوانين ولكنه مفرط في تطبيق الشريعة في بعض الجوانب ، فهذا أشبه بالمسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويلتزم بأحكام الإسلام عامة ولكنه يرتكب بعض الكبائر [١].

وهذا في نظر الشيخ القرضاوي ليس كافراً لكنه مسلم عاص غير خارج من الملة ما لم يستحل ذلك ، أو ينكر معلوماً من الدين بالضرورة [٢].

النوع الثاني : هو العلماني المتطرف الذي يجاهر بالعداوة لشريعة الإسلام ويسخر منها ويعتبرها مناقضة للحضارة والتقدم [٣].

ويرى الشيخ بأن هذا النوع من الحكام العلمانيين ، ورجال أحزابهم الذين يرفضون جهرة شرع الله ، وينادون بأن الدولة يجب أن تنفصل من الدين وإذا دعوا إلى حكم الله ، أبوا وامتنعوا ، هؤلاء يعدهم الشيخ في الكفرة الذين يجب أن يدمغوا في الكفر دون مواربة ولا استخفاء [٤].

والسبب في ذلك في نظر الشيخ : أنهم أصبحوا في واد وأمتهم في واد ، فهزأوا بالعقيدة ، وسخروا من الشريعة ، واستخفوا بالقيم ، ولم يرضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، وبالقرآن منهجاً ، فكفروا كفراً بواحاً ، وارتدوا ردة صراحاً [٥].

فضلاً عن أن كل واحد من هؤلاء كما يقول الشيخ : أصم أذنيه عن الآيات القرآنية ، وتلقى شرائعه وقوانينه ، ونظمه وتقاليده ، وقيمه وموازينه ، ومفاهيمه وتصوراته عن غير طريق رسول الله ﷺ ، ورضي بأن يحكم في هذه الأمور الخطيرة فلاسفة من الشرق أو الغرب ، أو علماء ، أو حكماء ، أو مشرعين

---

(١) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٣٢٥.

(٢،٣) انظر : المرجع السابق ص ٣٢٦.

(٤) انظر : ظاهرة الغلو في التكفير ص ٢٤.

(٥) انظر : أعداء الحل الإسلامي ص١٣٩.

ـ سمهم كما تشاء ـ فقد ضاد الله فيما شرع ، وناصب الله ورسوله العداء ، ومرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية [1].

وكعادة الشيخ لم يترك المسألة عامة دون أن يخصصها ، أو مطلقة دون أن يقيدها ، فيستغلها من شاء وقتما شاء ، ومن هنا فإن الشيخ أكد ما قرره المحققون من العلماء ؛ من وجوب التفريق بين الشخص والنوع في مثل قضية التكفير .

يقول الشيخ : ومعنى هذا أن نقول مثلاً الحكام العلمانيون الرافضون لحكم الشرع كفار ، أو من قال : كذا ، أو دعا إلى كذا فهو كافر ، فهذا حكم على النوع ، فإذا تعلق الأمربشخص معين ، ينتسب إلى هؤلاء وأولئك ، وجب التوقف للتحقق والتثبت من حقيقة موقفه ، بسؤاله ومناقشته [2].

ويقصد الشيخ من وراء هذا التحقق والتثبت أن :

١- تقوم عليه الحجة .

٢- تنتفي عنه الشبهة .

٣- تنقطع لديه المعاذير [3].

الحوار مع الحكام :

كما أن الشيخ لا يرى غضاضة من الحوار مع الحكام ، ولكن مع العقلاء منهم ، الذين لا يقفون من الإسلام موقفاً عقائدياً ، فإن هذا النوع لا خير فيهم ، فهم لا يرضون إلا بزوال الإسلام .

أما النوع الآخر فيقول عنه الشيخ : ولكن هناك نوع من الحكام لا يكره الإسلام ، بل يخافه ، وكثيراً ما يكون هذا الخوف ناشئاً من الجهل بحقائق الإسلام ، وأحكام شريعته، وخصائص دعوته ، وكثير منهم معذورون إلى حد ما في هذا الجهل ، فلم يتح له أن يعرف الإسلام من مصادره النقية ، ولا أن يأخذه من علمائه

---

(١) انظر : جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة ص٢٩.

(٢) انظر : ظاهرة الغلو في التكفير ص ٢٦.

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٢٧.

الثقات . ككثير من المثقفين الذين تحدثنا عنهم ، فاضطربت في ذهنه المفاهيم ، واختلت الحقائق بالأباطيل ، والأصيل بالدخيل .[1]

ملاحظة أخيرة حول علاقة القرضاوي بالحكام :

وأود أن أذكر هنا بملاحظة أحب أن توضع في الحسبان ، وهى : أن الشيخ في الآونة الأخيرة أصبح العديد من الحكام يريدون أن يفتحوا معه صفحة جديدة ، فأسفر ذلك عن لقاءات متعددة ، كلقاء الشيخ برئيس ليبيا ، والجزائر ، وسوريا ، وإندونيسيا ، والعديد من دول الخليج .... وغيرها ، والذي أراه : أن بعض هذه الحكومات وغيرها تريد أن تضفي على نفسها شرعية ، وأن تحسن صورتها أمام شعوبها ، لكون الشيخ له قبول عند قطاع عريض من أبناء الصحوة الإسلامية ، وكذلك أبناء المؤسسات الدينية في جميع بقاع الأرض .

٢- وسطية القرضاوي في قضايا المرأة[2] :

منذ زمن والشبهات تثار حول المرأة ، تارة من أعداء الإسلام ، وأخرى من بني جلدتنا ؛ ممن تزيوا بزينا وتسموا بأسمائنا ، لكنهم جعلوا قبلتهم إلى باريس أو موسكو أو واشنطن أو لندن ، واستبدلوا بالبيت الحرام البيت الأبيض ، وزعموا أنهم أنصار للمرأة ودعاة لتحريرها .

وقد أثار هؤلاء الشبه ، وألقوا التهم ، وكان في المقابل لهم نفر يدعون إلى الإسلام بإخلاص ، ويدافعون عن المرأة بغيرة وحمية ، دفعتهم هذه الغيرة أو تلك الحمية إلى إجحاف المرأة أحياناً باسم الدين ، وأخرى باسم العرف ، وثالثة باسم المصلحة .

وقد أشار الشيخ إلى هذين الطرفين في تقديمه لكتاب الأستاذ : عبد الحليم أبو شقة (تحرير المرأة في عصر الرسالة) فقال : وقضية المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية مثل بارز يجسد موقفي الغلو والتقصير ، أو الإفراط والتفريط .

---

(١) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ١٧٠ وما بعدها .

(٢) للمزيد من معرفة آراء الشيخ القرضاوي حول المرأة ؛ راجع ما ذكرته في كتابي : (المنهج الدعوي عند القرضاوي) تحت عنوان (موقف القرضاوي من الشبهات والقضايا المثارة حول المرأة) ص٤٢٠.

فهناك المقصرون في حق المرأة الذين ينظرون إليها نظرة استهانة واستعلاء فهي عندهم أحبولة الشيطان ، وشبكة إبليس في الإغواء والإضلال ، وناقصة العقل والدين . وهم يعتبرونها مخلوقا ناقص الأهلية ، وهي عند الرجل أمة أو كالأمة ، يتزوجها لمتعة إن شاء ، ويمتلك بضعها بما يدفع من مال ، ويطلقها متى أراد ، دون أن تملك له دفعا ، ولا تستحق عن ذلك متاعا ولا تعويضا حتى عبر بعضهم بأنها كالنعل ، يلبسها متى أراد ، ويخلعها متى أراد .

وفي مقابل هؤلاء الذين فرطوا وقصروا في حق المرأة وجاروا عليها ، نجد الآخرين الذين أفرطوا في شأنها ، وتجاوزوا حدود الله ، وحدود الفطرة وحدود الفضيلة في أمرها .

فإذا كان الأولون أسرى تقاليد شرقية موروثة ، فهؤلاء أسرى تقاليد غربية وافدة .

ولقد رأيت من هذا الصنف الثاني من يريد أن يلغي الفوارق بين الرجل والمرأة ، فهي إنسان كما أن الرجل إنسان ، وهما مولودان لذكر وأنثى فلماذا يتفاوتان ؟ ! [1]

ثم عقب الشيخ على هذين الفريقين بقوله : ومن الحق أن يقال : إن كثيرا من تطرف المغالين المقلدين للغرب ، كان رد فعل للتطرف من المغالين المقلدين للشرق . والتطرف لا ينتج إلا تطرفا مثله ، والله لم يكلفنا أن نكون تبعا لغرب ولا لشرق ، ولا أسرى لقديم ، أو حديث . إنما يجب أن يكون هوانا تبعا لما جاء به محمد ﷺ ، من الهدى ودين الحق .

لهذا كان لا بد من موقف يمثل (الوسطية) الإسلامية ، التي لا غلو فيها ولا تفريط ، ولا طغيان ولا إخسار [2].

وكان للشيخ القرضاوي موقف وسط كعادته ، من هذه القضايا . ومن أهم هذه القضايا :

---

(١) انظر : تحرير المرأة في عصر الرسالة عبد الحليم أبو شقة ج١ ص٩ ، ١٦ دار القلم الكويت ط الأولى ١٩٩٠.

(٢) انظر : المرجع السابق ج١ ص١٦.

القضية الأولى : عمل المرأة :

تعد قضية عمل المرأة من القضايا الشائكة بين الإسلاميين وغيرهم ، فبينما نرى من الناس من يبيح للمرأة العمل بدون قيد ولا شرط ، نرى في المقابل من يحرم عمل المرأة بالإطلاق ، ومن باب سد الذريعة ، وغلق باب الفتنة .

وكعادة الشيخ القرضاوي وقف موقفاً وسطاً ، فلم يذهب إلى الإباحة مطلقاً ، ولا إلى التحريم مطلقاً ، لكنه حدد وظيفة المرأة الكبرى ، وعملها الأول والأعظم الذي لا ينازعها فيه منازع ، ولا ينافسها فيه منافس ، ألا وهو تربية الأجيال[1] ، تلك الوظيفة الرئيسية التي هيئت لها المرأة ، وجبلت عليها .

أما عمل المرأة خارج بيتها فيرى الشيخ بأنه :

١- ليس محرماً شرعاً .

٢- وأنه في ذاته جائز .

٣- وقد يكون مطلوباً إذا احتاجت إليه المرأة ، إذا كانت مطلقة أو أرملة وليس لها مورد ولا عائل .

٤- وقد يكون مطلوباً إذا احتاجت الأسرة إلى عملها كأن تعاون زوجها ، كما في مساعدة أسماء بنت الصديق لزوجها الزبير .

٥- أو مطلوباً إذا احتاج المجتمع إلى ذلك كما في تطبيب المرأة وتعليم المرأة [2].

وحين ذهب الشيخ إلى إباحة العمل فقد قيده الشيخ بضوابط ثلاثة :

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ج١ ص ١٧٧.

(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٣٠٤،٣٠٥ باختصار ، وانظر لقاءات ومحاورات ج١ ص١٧٧، وانظر :ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ص٣٩١ وما بعدها،وانظر :مركز المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة ص ١٤٥.

١- أن يكون العمل في ذاته مشروعاً .

٢- أن تلتزم المرأة العاملة إذا خرجت أدب المرأة المسلمة في الزي والمشي والكلام والحركة .

٣- ألا يكون عملها على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها ، كواجبها نحو زوجها وأولادها .[١]

القضية الثانية ترشيح المرأة للمجالس النيابية :

وهذه القضية تلحق بالقضية الأولى ؛ وقد كان للشيخ القرضاوي رأي وسط بين المانعين بإطلاق والمجيزين بإطلاق ، وكان دافع الشيخ للإباحة أموراً ثلاثة :

١- أن المانعين لترشيح المرأة للمجالس النيابية ليس عندهم دليل صريح ثابت يلزم بالمنع .

٢- أن كثيراً من الأحكام والفتاوى ينبغي ألا تنفصل عن عصرها وبيئتها ؛ وهذا معناه أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعرف .

٣- أن العلمانيين يتبارون بقضية المرأة ، ويحاولون أن يلصقوا بالإسلام ما هو منه براء ، وفي الموافقة على منع ترشيح المرأة احتجاج للعلمانيين فيما ذهبوا إليه .

وقد رد الشيخ على أدلة المانعين ، وذهب إلى أن ما ذهبوا إليه من أدلة للتحريم لا يعد نصاً صريحاً صحيحاً في القضية . ومما ينبغي التأكيد عليه أن الشيخ لا يعد ذلك واجباً أو لازم الحدوث ، ولكن ينظر إليه في ضوء مصلحة المرأة ، ومصلحة الأسرة ، ومصلحة المجتمع ، ومصلحة الإسلام [٢].

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٣٠٥،٣٠٦ باختصار، وانظر لقاءات ومحاورات ج١ ص١٧٨، وانظر : ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، وانظر : مركز المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة ص ١٤٧ ، ١٤٨.

(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٣٢٨ ، وانظر : مكانة المرأة ص ٢٩ ، ٣٠.

القضية الثالثة : الاختلاط :

هذه قضية أخرى ظهر فيها رأيان :

١- رأي للمستغربين من عبيد الفكر الغربي ، ودعاة تقليد الغرب في كل شيء ، وهؤلاء هم دعاة الاختلاط المفتوح أو الاختلاط المطلق ، اختلاط في الزمان وفي المكان ، في الحدائق والمنتديات ، كما في المدارس والجامعات ؛ فضلاً عن كونه اختلاطا في الأسرة وفي البيوتات .

٢- رأي غلق الباب وأحكم غلقه ، وأوصد «قفله» وألقى المفتاح في اليم مخافة أن يفتح الباب ، أو يفتح القفل .

وكان للشيخ رأي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ لكنه رأي وسط ؛ لم تكن وسطيته من الهوى أو ضغط المجتمع ؛ لكنها وسطية تنطلق من وسطية الدين .

وقد أوضح الشيخ في بداية رأيه في الاختلاط بأن الكلمة نفسها كلمة دخيلة على المعجم الإسلامي لم يعرفها تراثنا الطويل العريض طوال القرون الماضية ؛ وربما كان أولى منها كلمة «لقاء» أو «مقابلة» أو مشاركة [1].

وبعيداً عن الأسماء والعناوين فقد كان الشيخ وما يزال يرى بأن المرأة في خير القرون لم تكن حبيسة بيتها أو قعيدة دارها .

بل يؤكد الشيخ : أن المرأة كانت مشاركة للرجل في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وأيام السلف ، ويستدل الشيخ لما ذهب إليه مما أسماه «الاختلاط المشروع» بحضور المرأة الجماعة والجمعة ، ووقوفهم خلف الرجال في مسجد واحد ومكان واحد .

وطمحت المرأة إلى الغزو فغزت في البر كما هو الحال في أم سلمة وعائشة وأم سليم وأم عطية ، بل طمحت بأن تكون غازية في البحر فبشرها

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٢٧٩ ، وانظر : ملامح المجتمع المسلم ص ٣٦٨ ، وانظر : مركز المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة ص ٤٠ .

النبي ﷺ بذلك وأخبرها بالشهادة كما هو الحال في أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها ، وفي هذا كله ما فيه من الاختلاط المشروع دون إبداء العورة أو إظهار السوءة ، أو تميع في مشية ، أو خضوع في كلمة .

ولهذا حين سئل الشيخ عن عيادة المرأة المسلمة للرجل المريض كانت إجابة الشيخ بمشروعية الزيارة ، ولم يكن استدلال الشيخ على مشروعية الزيارة لمجرد مجيء أحاديث الزيارة بألفاظ عامة تشمل الرجل والمرأة ، ولكنه اعتمد على ما عنون له الإمام البخاري في صحيحه تحت عنوان : « باب عيادة النساء للرجال »[1]. وفيه روى البخاري : « عادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار » . ولكن الشيخ قيد هذه الزيارات بعدة شروط :

١- أن تكون الزيارة في صورة جماعية لا فردية .

٢- أن تلتزم المرأة بالقواعد الشرعية ، والآداب المرعية ؛ فلا خلوة ، ولا تبرج ، ولا تعطر ، ولا خضوع بالقول [2].

وكذلك كان موقف الشيخ من إلقاء السلام على النساء ؛ فقد تعجب الشيخ من امتناع بعض أساتذة الجامعة من إلقاء السلام على الفتيات بحجة أن السلام على النساء غير جائز، وقد رأى الشيخ أن هذا القول يخالف النصوص الصريحة الصحيحة ؛ حيث جاءت الأحاديث بجواز إلقاء السلام مطلقاً من الرجال على النساء أو العكس ، بل بوب البخاري في صحيحه لذلك وقال : « باب تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال » وقد ذكر البخاري في الباب حديثين .

وقد أشار الشيخ القرضاوي إلى تقييد بعض العلماء جواز إلقاء السلام بأمن الفتنة ، وذكر الشيخ أقوال العلماء ناقلاً إياها عن ابن حجر رحمه الله [3].

---

(١) انظر : فتح الباري ج ١٠ص ١١٤.

(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٢٨٧ وما بعدها بتصرف شديد .

(٣) انظر : فتح الباري ج١٢ ص ٢٢١.

وذهاب الشيخ إلى جواز إلقاء السلام على المرأة إذا كان الرجل :

١- زائراً .

٢- أو معلماً .

٣- أو معالجاً .

بخلاف المرأة التي تلقى الرجل في الطريق العام ، فقال الشيخ : فهنا لا يحسن السلام عليها ؛ ما لم يكن بينه وبينها صلة وثيقة من نسب ، أو رحم ، أو مصاهرة ، أو نحو ذلك .[1]

وقد سخر الشيخ من دعاة الاختلاط المفتوح في شعره فقال :

قالوا : اختلاط ، وهل في الاختلاط سوى ... وضع الثقاب قريباً من شفا اللهب؟

فالاختلاط الذي يدعو له نفر ... هو انفتاح بلا قيد ، بلا حجب

فلينظروا ما جناه الغرب قبلهمو ... في النفس، في العقل، في الأجسام،في العصب[2]

القضية الرابعة : المرأة والعمل النسوي في الحركة الإسلامية :

اهتم الإسلام بالمرأة عضواً عاملاً في المجتمع ، وقدمت المرأة المسلمة على مر العصور وكر الدهور دوراً بالغ الأهمية ، وكان لها في وقت الأزمات دور فعال ، ولم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن مشاكل أمتها ، أو ما يدور حولها من أزمات ونكبات ، وقد اهتم الإمام الشهيد حسن البنا فيما اهتم به عند قيام دعوته فأنشأ قسماً خاصاً «بالأخوات المسلمات» وكان هذا نابعاً من إيمانه بدور المرأة في بناء جيل جديد يعيد للإسلام مجده ؛ ولكن مع مرور مدة طويلة من الزمن فإن الحركة الإسلامية لم تستطع أن تفرز أخوات مسلمات على قدر المسئولية ، وما زالت قلة عدد النساء القادرات على مواجهة الظروف الراهنة أمراً واضحاً وملموساً .

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٢٧٠ وما بعدها بتصرف شديد .

(٢) انظر : المسلمون قادمون ص ٤٠ ، ٤١ .

وقد أشار الشيخ القرضاوي إلى هذه الظاهرة السلبية في الحركة الإسلامية ، ويرجع الشيخ ذلك إلى أن رجال الحركة الإسلامية يحاولون دائماً أن يسيطروا على توجيه النساء ، ولا يدعون لهن الفرصة الكافية للتعبير عن أنفسهن لبروز المواهب والقدرات النسائية الخاصة ، لتقود العمل بمعزل عن تحكم الرجال[1].

ولهذا فإن الشيخ يؤكد على ضرورة رفع الحجر عن النساء ، ورفع الوصاية عنهن ؛ فليس من المعقول أن يفكر الرجال للنساء ، وأن يخطط الرجال للنساء في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يمنع أن يكون هناك مشاورة ومناصحة ، ولكن لا تصل هذه المشاركة إلى حد التفكير المطلق أو وضع الخطط بأكملها ، دون مراعاة لظروف النساء ومشاعرهن الخاصة [2].

وكما أوقع الشيخ باللائمة على الرجال الذين أوقفوا الزهرات من التفتح ، والقيادات النسائية من البروز ، والنوابغ النسائية من العمل ، والطاقات الحوائية من التنفيس ، فإن الشيخ أوقع باللائمة كذلك على النساء لأنهن كما يقول الشيخ : استسلمن لهذا الوضع ورضين بحياة الدعة والسكون وأن يفكر لهن الرجال بدل أن يفكرن لأنفسهن [3].

٣- وسطية القرضاوي في التعامل مع الصوفية :

من الأمور التي يقف منها الناس موقفاً متبايناً «التصوف»، والناس فيه ما بين مادح بإسراف ، أو ذام بإسفاف ، والحق أن التوسط خير ، والاعتدال مطلوب .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام طيب في التصوف والمتصوفة ، لم يخرج فيه عن حد الاعتدال والإنصاف ؛ بل أعطى للقوم حقهم دون وكس

---

(١) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٦٤.

(٢) راجع ما كتبه الشيخ في كتابه أولويات الحركة الإسلامية تحت عنوان «الحركة والعمل النسوي».

(٣) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٦٧.

أو شطط ، كما أن لتلميذه ابن القيم كلاماً تبدو عليه رائحة شيخه ، فهو وإن لم يكن كلام شيخه فإن أثر شيخه يبدو ظاهراً عليه .[1]

والشيخ القرضاوي اتخذ موقفا وسطا في تعامله مع التصوف والمتصوفة ، فلم يهدم ما لهم من آثار ، ولم ينسف ما لهم من أعمال ؛ كما أنه لم يهمل ما عندهم من شطحات ؛ وأي شطحات .

ولهذا أنكر الشيخ القرضاوي على الدعاة حملتهم على التصوف جملة دون تفريق بين الحق منه والباطل ، يقول الشيخ : نرى هؤلاء الدعاة الطيبين يبدأون بحملة على التصوف كله ، واتهامه بأنه دخيل على الإسلام ، لا يفرقون بين سني ومبتدع ، بين مستقيم ومنحرف [2]..

ولهذا فإن الشيخ يرى : أن «التصوف باعتباره تراثاً في التربية الأخلاقية والسلوك الإيماني لا يمكن الاستغناء عنه ، كما لا يمكن الاستغناء عن تراث الفقه في معرفة الأحكام الظاهرة [3].

ولكن الشيخ يرى أن الصوفية الحقيقية : هي التي يعمل أصحابها على أساس التزكية وطهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة على العمل ، والإعراض عن الخلق ، والحب في الله ، والارتباط على الخير [4].

إنها كما يقول الشيخ : ليست الموالد والعوائد ، وليست الشركيات في العقيدة ، ولا البدعيات في العبادة ، ولا السلبيات في التربية ، التي تجعل المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل [5].

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ابن تيمية ١١ ص ١٧ — ١٩ ، وانظر : مدارج السالكين ابن القيم ج٢ ص ٤٦٤ وما بعدها .

(٢) انظر : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص ٣٧ .

(٣) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ١٥ .

(٤،٥) انظر : الإخوان المسلمون ص ٣٤٥ .

ومن ثم فإن الشيخ يرى تجريد الصوفية من كل فضيلة واتهامهم بكل نقيصة ظلماً وإجحافاً وفي هذا يقول : وهذا في الواقع ليس من الإنصاف ، فكل الفئات من المتكلمين والمتفقهين والمحدثين كالمتصوفين . لهم وعليهم . ولا تخلو فئة من هؤلاء من غلو أو تقصير في بعض الأمور . والمتقدمون خير من المتأخرين في الجملة ، فالقرون الأولى هي خير قرون هذه الأمة ، وكل من كان قريباً من هذه القرون فهو أقرب إلى هدي الرسول وأصحابه ، وإلى منهج الإسلام القويم [١].

ويظهر الشيخ القرضاوي التزام المتصوفة الأوائل فيقول : وكان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة ، قائمين عند حدود الشرع مطاردين للبدع والانحرافات في الفكر والسلوك [٢].

كما يظهر الشيخ فضلهم في نشر الإسلام ودعوة الناس فيقول : ولقد دخل على أيدي الصوفية المتبعين كثير من الناس في الإسلام ، وتاب على أيديهم أعداد لا تحصى من العصاة ، وخلفوا ورائهم ثروة من المعارف والتجارب الروحية لا ينكرها إلا مكابر أو متعصب [٣].

هذا وإن الشيخ القرضاوي يرى أن الأمة الإسلامية في حاجة إلى جوهر التصوف الصحيح ، وهو ما يعرف بالتربية الربانية[٤].

ولئن مدح الشيخ القرضاوي المتصوفة فيما قدموه للإسلام ، وما أسدوه للدعوة الإسلامية ؛ فلقد كان للشيخ بعض المآخذ عليهم أعلنها صريحة دون تعد أو إسفاف يقول الشيخ : ولهذا فإن من المكابرة إنكار المؤثرات الأجنبية في التصوف مما خرج به في كثير من الأحيان عن «وسطية» الإسلام واعتداله ، إلى

---

(١) انظر : كيف نتعامل مع التراث ص ٥٠ .

(٢،٣) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٧٣٦ .

(٤) انظر : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص ٣٧ .

تشدد كتشدد الرهبانية ، أو غلو كغلو البوذية . ومن مظاهر الانحراف عند الصوفية هذه الأفكار .

١- اعتبار الذوق أو الوجدان الشخصي أو الإلهام مقياساً في معرفة الحسن والقبيح ، وتمييز الصواب من الخطأ .

٢- تفريقهم بين الشريعة والحقيقة .

٣- تحقيرهم لأمر هذه الحياة ، على خلاف نهج القرآن .

٤- غلبة النزعة الجبرية والسلبية على أكثرهم ، مما أثر في تفكير عامة المسلمين وجعلهم يعتقدون أن الإنسان مسير لا مخير ، وأن لا فائدة من مقاومة الفساد ومحاربة الباطل .

٥- إلغاء شخصية المريد في تربيتهم السلوكية والفكرية ، بحيث يفنى في شيخه ولا يناقش فضلاً عن أن يعترض .

٦- قبول الإسرائيليات التي جاء بها من أسلم من أهل الكتاب ، وكثير منها لا يوجد له أصل .

٧- أخذ ما يروى من الأحاديث النبوية مأخذ التسليم ، دون تمييز بين ما يقبل وما يرد .

٨- الثقة المطلقة بشيوخهم ، فما قاله الشيخ هو حق ، وما أمر به فهو مطاع ، دون أن يعرض ذلك على الشرع .

٩- عدم الوقوف عند ما جاء به الشرع في العبادات والأذكار والسلوكيات ، ووضع أوراد من عند المشايخ بدل الأوراد المأثورة ، واختراع عبادات أو قبول عبادات لم يأمر بها قرآن ولا سنة [١].

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص٧٤٠، ٧٤٢. وانظر : الحياة الربانية والعلم ص ٢٣. باختصار.

إن الذي يريده الشيخ من المتصوفة أن تطعم الصوفية بالسلفية ، والسلفية بالصوفية حتى ينشأ من هذا التطعيم مخاض يتولد منه وليد جديد يجمع الخير في كلا الطرفين ، وهو ما عبر عنه الداعية المسلم الأستاذ محمد المبارك رحمه الله : نسلف الصوفية ونصوف السلفية [1].

٤- وسطية القرضاوي في الفنون :

تعد قضية الفن من أكثر الأمور (سخونة) وأكثرها جدلا بين الفصائل والتيارات المختلفة ، سواء التيارات الإسلامية ، أم التيارات التي لا تؤمن بالعودة إلى الإسلام . وخصوصا إذا علمنا أن كثيرا من قضايا الفن تقف عندها فصائل الصحوة الإسلامية طرفي نقيض ؛ ما بين مبيح ومحرم ، أو رافض وفارض ، لا وسط في الغالب الأعظم بينهم .

ولعل من الأمور الراسخة في أذهان الكثيرين من الناقمين على الصحوة : أن فصائل الصحوة لو قدر لها أن تتولى أزمة الأمر في بلد ما ؛ أن تعادي الفن وأهله ، وربما أفرط بعضهم فتوهم أنهم سينصبون لأهل الفن أعواد المشانق ! !

وقد أدرك الشيخ القرضاوي هذا الأمر ، وأشار إليه في عدد من كتبه ، ومما قاله في كتابه (فقه الغناء والموسيقى في ضوء الكتاب والسنة) : أكثر الناس وقعوا في هذا الأمر بين طرفي الغلو والتفريط . نظرا لأنه أمر يتصل بالشعور والوجدان ، أكثر مما يتصل بالعقل والفكر ، وما كأن شأنه كذلك فهو أكثر قبولا للتطرف والإسراف من ناحية ، في مقابلة التشدد والتزمت من ناحية أخرى .

فهناك من يتصورون المجتمع الإسلامي مجتمع عبادة ونسك ، ومجتمع جد وعمل ، فلا مجال فيه لمن يلهو ويلعب ، أو يضحك ويمرح ، أو يغنّي ويطرب . لا يجوز لشفة فيه أن تبتسم ، ولا لسنّ أن تضحك ، ولا لقلب أن يفرح ، ولا لبهجة أن ترتسم على وجوه الناس ! !

---

(١) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ٢٢ ، ٢٣ بتصرف .

وعلى العكس من هؤلاء : الذين أطلقوا العنان لشهوات أنفسهم ، فجعلوا الحياة كلها لهوا ولعبا ، وأذابوا الحواجز بين المشروع والممنوع . . بين المفروض والمرفوض . . بين الحلال والحرام .

فتراهم يدعون إلى الانحلال ، ويروجون الإباحية ، ويشيعون الفواحش ما ظهر منها وما بطن باسم الفن ، أو الترويح ، ونسوا أن العبرة بالمسميات والمضامين ، لا بالأسماء والعناوين . والأمور بمقاصدها .[1]

وبعد أن أشار الشيخ إلى هذين الموقفين المتناقضين ؛ وقف موقفا وسطا ، بعيدا عن إفراط هؤلاء ، وتفريط أولئك فقال : إن الإسلام دين واقعي ، فهو يتعامل مع الإنسان كله : جسمه وروحه وعقله ووجدانه ، ويطالبه أن يغذيها جميعا ، بما يشبع حاجتها ، في حدود الاعتدال ، الذي هو صفه «عباد الرحمن» وليس هذا خُلُقهم في أمر المال فقط ، بل هو خُلُقٌ أساسي عام في كل الأمور ، هو المنهج الوسط للأمة الوسط .

وإذا كانت الرياضة تغذي الجسم ، والعبادة تغذي الروح ، والعلم يغذي العقل ، فإن الفن يغذي الوجدان .[2]

ثم أبان الشيخ مقصوده من الفن فقال : ونريد بالفن : النوع الراقي الذي يسمو بالإنسان ، لا الذي يهبط به .

وإذا كانت روح الفن هي الإحساس بالجمال وتذوقه ، فهذا ما عُني القرآن بالتنبيه عليه وتأكيده في أكثر من موضع .

فهو يلفت النظر بقوة إلى عنصر «الحُسن» أو «الجمال» الذي أودعه الله في كل ما خلق ، إلى جوار عنصر «النفع» أو «الفائدة» فيه .[3]

---

(١) انظر : فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة ص ١٣ باختصار .

(٢،٣) انظر : المرجع السابق ص ١٤ باختصار .

وبعد أن أشار الشيخ إلى تنبيه القرآن إلى عنصري المنفعة والجمال في الكون ، ألمح الشيخ إلى عمق الإحساس بالجمال لدى الإنسان فقال : إن المتجول في رياض القرآن يرى بوضوح : أنه يريد أن يغرس في عقل كل مؤمن وقلبه الشعور بالجمال المبثوث في أجزاء الكون ، من فوقه ومن تحته ومن حوله : في السماء ، والأرض ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان .

إن المؤمن يرى يد الله المبدعة في كل ما يشاهده في هذا الكون البديع ، ويبصر جمال الله في جمال ما خلق وصور ، يرى فيه ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:٨٨) ، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (السجدة:٧)

وبهذا يحب المؤمن الجمال في كل مظاهر الوجود من حوله ؛ لأنه أثر جمال الله جل وعلا . وهو يحب الجمال كذلك ؛ لأن «الجميل» اسم من أسمائه تعالى الحسنى وصفة من صفاته العلا . وهو يحب الجمال أيضا ، لأن ربه يحبه ، فهو جميل يحب الجمال [1].

ثم أشار الشيخ إلى جمال آخر ؛ بل إلى معجزة جمالية ، ربما غفل عنها الكثير ، وهي معجزة القرآن فقال : والقرآن الكريم آية الإسلام الكبرى ، ومعجزة الرسول العظمى : يعتبر معجزة جمالية ، إضافة إلى أنه معجزة عقلية ، فقد أعجز العرب بجمال بيانه ، وروعة نظمه وأسلوبه ، وتفرد لحنه وموسيقاه ، حتى سماه بعضهم سحرا .

وقد بين علماء البلاغة وأدباء العربية وجه الإعجاز البياني أو الجمالي في هذا الكتاب ، منذ عبد القاهر إلى الرافعي وسيد قطب وبنت الشاطئ وغيرهم في عصرنا .

---

(١) انظر : فقه الغناء والموسيقى فى ضوء القرآن والسنة ص ١٧ ، ١٨ باختصار .

ومن المطلوب في تلاوة القرآن أن ينضم جمال الصوت والأداء إلى جمال البيان والنظم .

ومعنى هذا : أن القرآن دين وعلم وأدب وفن معا . فهو يغذي الروح ، ويقنع العقل ، ويوقظ الضمير ، ويمتع العاطفة ، ويصقل اللسان [1].

لقد أطلت من كلام الشيخ في ما يتعلق بالفنون ؛ لأن هذه القضية تحتاج دائما إلى تفصيل ، حتى يتضح النور لكل ذي عينين .

ولما كان الغناء بما يصحبه من آلات من أكثر أنواع الفن إثارة للضجيج بين المبيحين والمانعين ، فقد ارتأى الشيخ هنا أيضا أن يقف موقفا وسطا ، بين هؤلاء وأولئك ، بما ترجح لديه من أدلة ، فلم يحرم بإطلاق ، ولم يبح بإطلاق ؛ وإنما أباحه بشروط وقيود وضوابط ؛ نعم ضوابط تقيده في مضمونه ، وفي طريقة أدائه وشكله ، وضوابط في مقداره وكمه ، وضوابط فيما يقترن به . وقد فصلها الشيخ ، وأيدها بالأدلة والبراهين ، وأنا أجملها فيما يلي :

١- سلامة مضمون الغناء من المخالفة الشرعية .

٢- سلامة طريقة الأداء من التكسر والإغراء .

٣- عدم اقتران الغناء بأمر محرم .

٤- تجنب الإسراف في السماع .

٥- ما يتعلق بالمستمع .

تبقى هناك أشياء خاصة أو دائرة معينة ، تتعلق بالمستمع نفسه ، لا تحيط بها فتاوى المفتين ، ولا يستطاع ضبطها بدقة ، بل توكل إلى ضمير المسلم وتقواه ، ويكون كل مستمع فيها فقيه نفسه ومفتيها ، فهو أعرف بها من غيره ، وأدرى باتجاهاتها وخلجاتها من كل فقيه[2].

---

(١) انظر : فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة ص ١٨ ، ١٩ باختصار .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٨٧-١٩٤ باختصار .

(١٨)
نماذج من فتاوى الشيخ في ضوء الوسطية

وسطية القرضاوي في الفتوى :

تعد الفتوى وسيلة من وسائل الدعوة في القديم والحديث ، وقد اعتلى الشيخ القرضاوي منبر الإفتاء في وقت مبكر[١] ، وقد وضع الشيخ لنفسه منهجاً في الفتوى ، وجعل لهذا المنهج معالم وخصائص تميز فتواه ، وهي :

١- التحرر من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى .

---

(١) ويؤكد الشيخ ذلك قائلاً : فقد كان مما كتبه الله تعالى لي أن أشتغل بإفتاء الناس منذ عهد مبكر ، فقد كنت أؤم الناس وأخطبهم وأدرسهم وأنا طالب في القسم الابتدائي «الإعدادي الآن» من الأزهر الشريف ومن خطب الناس أو درسهم فلا بد أن يسألوه. وازداد إفتاء الشيخ يوماً بعد يوم نظراً للقائه بالجماهير وازدياد شعبيته ، فكان يعقد بعد صلاة الجمعة ندوة للرد على أسئلة المصلين فيما يتعلق بأمور دينهم. وأخذ الإفتاء لدى الشيخ نوعاً آخر ، حيث بدأ الشيخ في كتابة بعض الفتاوى في عدد من المجلات الإسلامية مثل «منبر الإسلام» التي تصدرها وزارة الأوقاف المصرية، و«نور الإسلام» التي يصدرها علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر. ولما قدم الشيخ إلى قطر أخذت الفتوى لوناً جديداً ، فظهر للشيخ برنامجان ليرد الشيخ فيهما على أسئلة الجمهور ، البرنامج الأول إذاعي وهو بعنوان «نور وهداية» والثاني تلفزيوني وهو بعنوان «هدى الإسلام» والذي لا يزال مستمراً حتى كتابة هذه السطور. ولما كثرت الرسائل والأسئلة ، وتوالت الخطابات والأجوبة ، أشار بعض المخلصين على الشيخ بجمع هذه الفتاوى ، فاختار الشيخ منها ما يصلح للجميع أو ما يتعلق بالواقع والمجتمع ، وأخرجه للناس كتابة ، بعد أن حذف المكرر ، وهذب العبارات ، وحسَّن الفتاوى ببعض من الإضافات ، وقد ظهر للشيخ إلى وقتنا هذا ثلاثة أجزاء بعنوان «هدى الإسلام» فتاوى معاصرة. للمزيد انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٥ ، ٨. وانظر : خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٧. وانظر : ما ذكرته في كتابي :(المنهج الدعوي عند القرضاوي) تحت عنوان : الشيخ والإفتاء : ص ١٨٠ ط الأولى مكتبة وهبة ٢٠٠٦م .

٢- تغليب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير .

٣- مخاطبة الناس بلغة العصر مع تجنب المصطلحات الوعرة ، الألفاظ الغريبة .

٤- الإعراض عما لا ينفع الناس ، كالمفاضلة بين الأصحاب ، تأويل الرؤى والأحلام .

٥- إعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح .

٦- التزام روح الوسط بين المتحللين والمتزمتين، والاعتدال بين التفريط والإفراط .

وتحت هذا المعلم (الوسطية) قال الشيخ :

ومن خصائص المنهج الذي سرت عليه : التزام روح التوسط دائما ، والاعتدال بين التفريط والإفراط . بين الذين يريدون أن يتحللوا من عرى الأحكام الثابتة ، بدعوى مسايرة التطور ؛ من المتعبدين بكل جديد ، الذين يريدون أن يظل كل ما كان على ما كان من الفتاوى والأقاويل والاعتبارات ، تقديسا منهم لكل قديم .

الفئة الأولى : عبيد التطور :

أما الأولون فهم لا يريدون أن يبقى شيء على حاله ، ولا يستمر وضع كما كان ، وأن يغيروا كل شيء ، بحجة أن العالم يتطور ، والحياة تتغير ، وهم الذين سخر منهم بعض الأدباء بأنهم يريدون أن يغيروا الدين واللغة والشمس والقمر

الفئة الثانية : المتزمتون في الفتوى :

وفي مقابل هؤلاء «العصريين» أو «التقدميين» الذين يريدون أن يحللوا كل شيء بحجة «التطور» وتغير الزمان ، ومرونة الشريعة إلخ . . . نجد آخرين يريدون أن يحرموا على الناس كل شيء . فأقرب شيء إلى ألسنتهم وأقلامهم : إطلاق كلمة «حرام» دون مراعاة لخطورة الكلمة ، ودون تقديم الأدلة الشافية من

نصوص الشرع وقواعده سندا للتحريم . فعمل المرأة حرام ، والغناء حرام ، والموسيقى حرام ، والتمثيل حرام ، والتلفزيون حرام ، والسينما حرام ! والتصوير كله حرام ، والشركات المساهمة حرام ، والجمعيات التعاونية حرام والحياة كلها اليوم حرام في حرام . هذا مع تحذير القرآن والسنة والسلف الصالح : من إطلاق كلمة «الحرام» إلا ما علم تحريمه جزما من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [1].

وقد بين الشيخ القرضاوي المنظار الذي يحكم رؤيته الوسطية في الفتوى فصارت مقبولة ، فقال عن هذا المنظار : في فتواي أحمد الله أني أنظر إلى الإسلام بعين وعلى العصر بعين أخرى ، إلى الإسلام وأصوله وتراثه ، والعصر وتياراته ومشكلاته ، وفي نظري إلى الإسلام لا يهمني أن أرضي أطرافاً معينة ، كما لا يهمني أن أرضي أصحاب السلطان ، كما لا يهمني أن أرضي العوام ، بعض الناس لا ترضي السلطات لكنها تحاول أن ترضي الجماهير ، وهذا أخطر ، لأن الذي يتبع أهواء السلطان سرعان ما يكتشف ويتبين زيفه ، وإنما الذي يتبع أهواء العامة يصعب أن يكشف إلا عند الخاصة أو ذوي البصيرة [2].

حكم التلفزيون[3] :

نظراً لما يعرضه التلفزيون من أمور مختلفة فقد اشتمل على ثلاثة أنواع من الوسائل :

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٢١.

(٢) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ بتصرف .

(٣) ظهر التلفزيون أول ما ظهر ، وظهرت معه أهميته ، وكان من أهمية هذا الجهاز :

أ- اجتماع أهم خصائص الوسائل السمعية والبصرية مثل : الامتداد الزماني والمكاني بحيث لا تخلو ساعة ولا مكان من بث ، تنوع موضوعاته ، سهولة الاستماع إليها والمشاهدة لها فقد ينصت إليه الشخص قائماً أو قاعداً أو أثناء الطعام وأثناء الكلام وعند النوم .

ب - شدة جاذبيته للناس وخصوصاً بعد البث الملون .

جـ - تنوع المشاهدين له من الكبار والصغار. انظر : المدخل إلى علم الدعوة د : محمد أبو الفتوح البيانوني وزارة الأوقاف بقطر ط ٤ عام ١٩٩٧م ص ٣١٨ ، ٣١٩ بتصرف .

● الوسيلة المباحة : نظراً لما يبث فيه من خير مباح .

● الوسيلة المشوبة : نظراً للبرامج الكثيرة التي اختلط فيها الخير بالشر .

● الوسيلة المختلف في حكمها : نظراً لما تقوم عليه من أنواع التصوير التي اختلف العلماء في حكمها [1].

● لهذه الأمور وغيرها كان الحكم للعلماء فيها على رأيين :

● التحريم مطلقاً : بل قال أصحاب هذا الرأي بحرمة شراء الجهاز، وحرمة بيعه ، وحرمة دخوله المنزل .

● الإباحة : لمن كان في نفسه القدرة على التحكم في هذا الجهاز وضبط أسرته وأولاده ، فيجعل رقيباً على الأولاد لا من خارجهم ، ولكن من أنفسهم ، وذلك بتعريفهم الحلال والحرام .

وكان الشيخ القرضاوي من أنصار هذا الرأي ، الذي تظهر فيه وسطية الإسلام ، وقد أوضح الشيخ رأيه هذا في تلفزيون قطر منذ أن طُلب منه أن يقدم برنامج « هدي الإسلام» أي منذ خمس وثلاثين عاماً أو أكثر ، وقد سجل الشيخ رأيه هذا في فتاويه فقال : إن التلفزيون كالراديو وكالصحيفة وكالمجلة ، كل هذه الأشياء أدوات ووسائل لغايات ومقاصد ، لا تستطيع أن تقول : هي خير ، ولا تستطيع أن تقول : هي شر . كما لا تستطيع أن تقول : إنها حلال أو إنها حرام ولكنها بحسب ما توجه إليه . . وبحسب ما تتضمنه من برامج وأشياء . . كالسيف ، فهو في يد المجاهد أداة من أدوات الجهاد ، وهو في يد قاطع الطريق أداة من أدوات الإجرام . . فالشيء بحسب استعماله . والوسائل دائماً حسب مقاصدها .

ممكن أن يكون التلفزيون من أعظم أدوات البناء والتعمير الفكري والروحي ، والنفسي والأخلاقي والاجتماعي . والراديو والصحيفة كذلك .

---

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة ص ٣٢١ بتصرف .

وممكن أيضاً أن يكون من أعظم أدوات التخريب والإفساد ، فهذا راجع إلى نوعية ما يتضمنه من مناهج وبرامج ومؤثرات .

الذي أستطيع أن أقوله إن هذه الأشياء فيها الخير ، وفيها الشر ، وفيها الحلال وفيها الحرام . والذي قلته من أول الأمر : إن المسلم يستطيع أن يكون فقيه نفسه في هذه الأمور ، فيفتح الراديو أو التلفزيون عندما يكون هناك خير ، ويغلقه عندما يكون هناك شر .

وتبقى في هذه الناحية المسئولية الكبرى على الدولة بصفة عامة وعلى المسئولين عن هذه الأجهزة الإعلامية بصفة خاصة ، فإن الله سائلهم عن كل ما تحمله هذه الأدوات للناس ، فليحضروا للسؤال من الآن جواباً . . .[1]

حكم اللعب بالورق (الكوتشينة) و (الدومينو) :

تحدث الشيخ كثيرا عن مجالات اللهو والترويح في عدد من كتبه ، كـ (الحلال والحرام) و(ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده) و(فتاوى ومعاصرة. ومما تحدث عنه الشيخ في مجال اللهو والترويح : اللعب بالورق (الكوتشينة) و(الدومينو) : وقد نحا الشيخ منحى وسطا بين المانعين والمبيحين ؛ فقال : من اللهو الذي يمارسه كثير من الناس ويسأل الكثير عن حكمه : اللعب بالورق (الكوتشينة) . ومما لا شك فيه : أن اللعب إن كان بمال ، بحيث يحتمل الكسب أو الخسارة ، فهو قمار (مَيْسِر) محرم بلا نزاع .

وأما إذا لعب لمجرد التسلية ، فقال البعض : إنه حرام . لأنه يقوم على الحظ والنصيب ، فأشبه النَّرْد .

ولكن الواقع : أن في لعب الورق جانبين : جانبا للحظ ، وجانبا للنظر والمهارة ، فهو يشبه النرد من ناحية ، ويشبه الشطرنج من ناحية أخرى . على أنا

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٦٩٤،٦٩٥ .

قد ناقشنا قضية اعتماد النرد على الحظ وحده ، وقلنا : إن هذا غير مسلّم ، فهو يعتمد على الحظ في جزء من اللعب ، ثم يعتمد على التفكير بعد ذلك . ولهذا أرى الاكتفاء بكراهته ، إذا لم يبلغ حد الإسراف والانهماك ، بحيث تضيع معه الواجبات الدينية والدنيوية .

ومثل اللعب بالورق في الحكم فيما أرى : لعبة (الدومينو) المعروفة ففيها شبه من النرد يقوم على الحظ ، وشبه بالشطرنج يقوم على المهارة في الحساب وإعمال الفكر . وكثيرا ما يتبارى فيها الأذكياء : أيهم يغلب الآخر . لهذا أرى أن الحكم عليها بالكراهة هو الأقرب ، ما لم يكن اللعب على مال ، فهو قمار محرم بلا نزاع ، أو يسرف فيها حتى تشغل عن واجب ديني أو دنيوي ، فتحرم أيضا ، فهذا ضابط عام في كل لهو ولعب[1] .

* * *

(١) انظر : فقه اللهو والترويح ص١١٣ ، ١١٤ .

(١٩)

روافد الوسطية عند القرضاوي

وقد كان للشيخ روافد كانت كفيلة لمد منهجه الوسطي بما يريد ، وأهم هذه الروافد :

الرافد الأول : فقه الموازنات .

الرافد الثاني : فقه الأولويات .

الرافد الثالث : فقه الاختلاف .

الرافد الرابع : فقه النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية .

الرافد الخامس : فقه الواقع .

الرافد السادس : فقه السنن .

الرافد السابع : التفريق بين الثابت والمتغير .

الرافد الثامن : الوصل بين الفقه وبين الحديث .

الرافد الأول : فقه الموازنات :

والشيخ القرضاوي يعني بفقه الموازنات أموراً هي :

أولاً : الموازنة بين المصالح بعضها وبعض من حيث : عمقها وتأثيرها ، بقاؤها ودوامها ، التقديم والاعتبار ، الإسقاط والإلغاء .

ثانياً : الموازنة بين المفاسد بعضها وبعض من حيث : عمقها وتأثيرها ، بقاؤها ودوامها ، التقديم والاعتبار ، الإسقاط والإلغاء . وهذا يعني :

ثالثاً : الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا تعارضتا بحيث تعرف :

- متى نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة ؟
- متى تغتفر المفسدة من أجل المصلحة ؟ [1]

الرافد الثاني : فقه الأولويات :

ويعني الشيخ بفقه الأولويات : أنه وضع كل شيء في مرتبته بالعدل ، من الأحكام والقيم والأعمال ، ثم يقدم الأولى فالأولى ؛ بناء على معايير شرعية صحيحة ؛ يهدي إليها نور الوحي ، ونور العقل [2].

إنه إعطاء كل عمل قيمته أو «سعره» في ميزان الشرع لا نبخسه ، ولا نشتط في تقويمه . [3]

وهذا يقتضي ألا يقدم غير المهم على المهم ، ولا المهم على الأهم ، ولا المرجوح على الراجح ، ولا المفضول على الفاضل ، ولا الفاضل على الأفضل ، ولا الصغير على الكبير ، ولا الفرعي على الأصلي ، ولا المكملات على الأركان ، ولا الأدنى على الأعلى ، ولا ما موضعه الهامش على ما موضعه الصلب. [4]

الرافد الثالث : فقه الاختلاف :

والمقصود بالخلاف هو الخلاف في الفروع لا في الأصول ، في الجزئيات لا الكليات ، في الظنيات لا القطعيات ، في المتشابه لا المحكم ، في غير المنصوص عليه لا المنصوص عليه .

---

(١) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٢٦ ، وانظر : في فقه الأولويات ص ٢٥. وانظر : السياسة الشرعية ص ٣٠١ .

(٢) انظر : في فقه الأولويات ص ٩ بتصرف .

(٣) انظر : السياسة الشرعية ص ٣٠٦ .

(٤) انظر : في فقه الأولويات ص ٩ بتصرف .

يقول الشيخ القرضاوي حفظه الله : يجب أن نتعلم أن الخلاف في الفروع أمر واقع ، ماله من دافع ، وأن لله حكمة بالغة حين جعل من أحكام الشريعة القطعي في ثبوته ودلالته ، فلا مجال للخلاف فيه ، وهذا هو القليل بل الأقل من القليل ، وجعل منها الظني في ثبوته أو دلالته ، أو فيهما معاً فهذا إنما فيه مجال رحب للاختلاف ، وهو جل أحكام الشريعة [1].

ويرى الشيخ القرضاوي أن رفع الخلاف أمر متعذر ، وهو غير مقدور عليه لأن هذه إحدى طبائع هذا الدين ، وإن العلماء مهما أوتوا من علم وفهم لن يستطيعوا رفع ذلك ، يقول حفظه الله : وهناك من العلماء من آتاهم الله القدرة على التحقيق والتمحيص والترجيح بين الأقوال المتنازع فيها دون تعصب لمذهب أو قول ، مثل الأئمة ابن دقيق العبد ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، وابن حجر العسقلاني ، والدهلوي ، والشوكاني ، والصنعاني . . . . . وغيرهم ، ولكن محاولات هؤلاء من قبل لم ترفع الخلاف ، ومحاولات غيرهم من بعد لم ترفع الخلاف ولن ترفعه [2].

الرافد الرابع : فقه النصوص الجزئية في ضوء النصوص الكلية :

ويعني الشيخ بهذا الفقه : ألا يقف الناس عند جزئيات الشريعة ومفرداتها وحدها ، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة [3].

ويؤكد الشيخ على ضرورة هذا الفهم الذي يربط النصوص الجزئية بالنصوص الكلية فيقول : إن معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية متفرقة متناثرة ، مفصولاً بعضها عن بعض ، بل لا بد من رد فروعها إلى أصولها ، وجزئياتها إلى كلياتها ، ومتشابهها إلى محكماتها ، وظنياتها إلى

(١،٢) انظر : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د : يوسف القرضاوي ص ١٦١ .

(٣) انظر : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٧ .

قطعياتها ، حتى يتألف منها جميعاً نسيج واحد مترابط بعضه ببعض ، متصل لحمته بسداه ، ومبدؤه بمنتهاه [١].

الرافد الخامس : فقه الواقع :

والشيخ القرضاوي يعني بفقه الواقع أنه الفقه المبني على الواقع المعيش دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع ، معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات [٢].

وقد أكد الشيخ في دراسة الواقع المعيش على عدة أمور :

١- التحذير من تضليل الأرقام غير الحقيقية المستندة إلى المنشورات الدعائية ، والمعلومات الناقصة ، أو البيانات غير المستوفية والاستبيانات والأسئلة الموجهة لخدمة هدف جزئي معين لا لخدمة الحقيقة الكلية [٣].

٢- البعد عن التهوين والتهويل [٤].

٣- البعد عن النظرات المثالية الحالمة [٥].

٤- البعد عن النظرات الانهزامية المتشائمة [٦].

٥- البعد عن النظرات التبريرية [٧].

إن دراسة هذا الواقع وفقهه جعلت الشيخ وسطا بين التهوين والتهويل ، بين النظرات المثالية الحالمة و النظرات الانهزامية المتشائمة .

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ١٥١ ، ١٥٢.

(٢) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٢٦.

(٣) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٢٦، ٢٧.

(٤-٧) انظر : السياسة الشرعية ص ٢٨٧.

الرافد السادس : فقه السنن :

لقد نادى الشيخ بهذا النوع من الفقه وهو «فقه السنن» في كثير من كتبه ، ويعني بفقه السنن : مراعاة سنن الله الكونية والشرعية والاجتماعية التي أقام الله عليها عالم هذا ، وقضى بأنها لا تتبدل ولا تتحول[1] ، إنه معرفة آيات الله في الآفاق وفي النفس وسننه في الكون والمجتمع[2] ، وباختصار إنه فقه عن الله فيما خلق [3].

هذه المراعاة لفقه السنن هذه دفعت بالشيخ إلى تبني الوسطية ، والدوران في فلكها .

الرافد السابع : التفريق بين الثوابت والمتغيرات والأصول والفروع :

يخلط كثير من المنشغلين بالعلم والدعوة بين الثوابت والمتغيرات ، وبين الأصول والفروع ، وهذا يجعل البعض منهم يتشدد في موضع اللين ، ويلين في موضع الشدة ، ولكن الشيخ رأى ضرورة التفريق بين هذه الأمور بعضها وبعض ، وقد نهج الشيخ نهجا في هذه الأمور ، فهو يرى التشديد في الأصول والثوابت ، والتخفيف في الفروع والمتغيرات .

ولهذا فإن ثوابت العقيدة والعبادات والأخلاق يرى القرضاوي عدم المساس بها مطلقا ، وهذا مما حفظ للشيخ وسطيته ، فهو إن تشدد تشدد في الأصول والثوابت والكليات ، وإن تساهل فإنما يتساهل في الفروع والمتغيرات والجزئيات.

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٧.

(٢) انظر : السنة مصدر للمعرفة والحضارة ص ٢٠٥.

(٣) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٢٥.

الرافد الثامن : الوصل بين الفقه وبين الحديث :

أثر عن كثير من الفقهاء المحدثين أمثال : سفيان الثوري ، وابن عيينة ، وعبد الله بن سنان ، قولهم : لو كان أحدنا قاضياً لضربنا بالجريد فقيهاً لا يتعلم الحديث ، ومحدثاً لا يتعلم الفقه [1].

ولما رأى القرضاوي : وجود كثرة كاثرة ممن ينشغلون بالفقه ، لا يتعمقون في معرفة الحديث ، فتروج لديهم الأحاديث الواهية وما لا أصل له . كما رأى كذلك وجود كثرة كاثرة ممن ينشغلون بالحديث لا يتعمقون في معرفة الفقه وأصوله ، فلا يتذوقون أسراره ، ولا يفقهون مقاصده ، فيقفون عند الظواهر ولا ينفذون إلى المقاصد [2]. ورأى أن البعد بين الفريقين ، يؤدي إلى الإفراط أحيانا ، وإلى التفريط أحيانا أخرى ، لما رأى القرضاوي ذلك كان لزاما عليه أن يدعو إلى« ضرورة الوصل بين الفقه والحديث» وكان هذا الوصل من الروافد التي دفعت بالشيخ إلى الوسطية التي عُرف بها .

* * *

(١) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر الكتاني ص ٣ ط دار الكتب العلمية بيروت نقلاً عن نحو فقه ميسر معاصر ص ٥٣ ط مكتبة وهبة .

(٢) انظر : نحو فقه ميسر معاصر ص ٥٢ ، ٥٣ بتصرف .

(٢٠)
الشهادة للقرضاوي بالوسطية

وأخيرا فإن القاصي والداني من كل الأطياف والأشكال ليشهد أن القرضاوي بحق : إمام الوسطية ، وشيخ الوسطية ، ومنظّر الوسطية ، وهذه بعض شهادات الذين أقروا للشيخ بذلك :

الأستاذ : محمد أحمد الراشد : وقد ابتنى فقه الشيخ القرضاوي كله على «الوسطية»، وحرص عليها ، وجعلها شعارا وعنوانا للفقه الذي يحقق الغايات الشرعية من غير إعنات للمسلمين .... هو الرائد حقا ، مع وفور المنطق المعتدل ودقة الاستنباط وشمول النظر ، وقد حل المشكلات ، وأوضح المعضلات ، وميز الخلل ، وعلل وأسند ، فكان «معلم المرونة» حقا ، وشارح المتغيرات ، وتمثل كتابته مذهبا في فقه الدعوة كاملاً مترابطاً متناسقا موزونا بمنطق واحد في بدايته ووسطه ونهايته ، وبمنهجية من التيسير الذي تشهد له الأدلة والأصول العريقة ، وأنا معه في معظم ما ذهب إليه ، وأرى أنه وُفق إلى الصواب توفيقا ، ولست أُخالفه إلا في مسائل قليلة [١].

الدكتور:عبد العظيم الديب : القرضاوي ينهج المنهج الوسط ، ويعبر عنه.[٢]

الأستاذ : راشد الغنوشي : لقد سخر القرضاوي حياته العلمية الثرة ، ولا سيما في السنوات الأخيرة ، لإنضاج وتعميق وتجلية ما دعاه بمدرسة الوسيطة باعتبارها الوسط الجامع والتيار العريض لما عرف قديما بالجمهور [٣].

---

(١) انظر : أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي محمد أحمد الراشد مرجع سابق (ج٢ ص ١٥٦ وص ٣١٩) .

(٢) انظر : يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه صـ٤٤٧.

(٣) انظر : المرجع السابق صـ٣٠٦.

الأستاذ عادل حسين : منذ بداية مسيرته العلمية والفقهية ، التزم الدكتور : القرضاوي منهج الوسطية الإسلامية ، لقد أثبتها والتزم بها في كل دراساته وتحليلاته ، وهذه الوسطية عصمت مبدأه الآخر : مبدأ الاجتهاد ، ويمكن أن نقول : إن منهج الدكتور القرضاوي ، هو منهج الاجتهاد في إطار الوسطية الإسلامية [١].

قاضي حسين أحمد (أمير الجماعة الإسلامية بباكستان) : إننا نحب أخانا فضيلة الدكتور القرضاوي : لعلمه الشامل ، ولفقهه الرشيد ، ولمعرفته العميقة لعلوم الدين ، إنه يسبر أغوار الحقيقة ، ويخرج برأي سديد وسـط ، دون إفـراط أو تفريط [٢].

الشيخ عبد الله بن بيه : الإمام يوسف عالم متبحر ، وداعية مؤثر ، ومرب للأجيال ، ومصلح كبير بالحال والمقال ، منهجه منهج الوسطية الإسلامية التي وصف بها الشاطبي الشريعة الإسلامية [٣].

الدكتور : محمد عمارة : إذا كانت الوسطية هي واحدة من أخص خصائص الأمة الإسلامية فلقد رأينا لها مكانا ملحوظا في المشروع الفكري للدكتور القرضاوي . إننا إزاء عالم تزدان به الأمة . . وإزاء مشروع فكري بالوسطية الإسلامية [٤].

الدكتور أكرم ضياء العمري : خلاصة القول : إن الشيخ ينادي بالوسطية في المنهج ، ويدعو إلى التكامل والتوازن والتيسير ، ويرى أن أزمة المسلمين في العصر الحالي هي أزمة فكر ، وأنها تسبق أزمة الضمير ، وأن أوضح ما تتمثل فيه أزمة الفكر فهم السنة والتعامل معها . . .

والحق أنه شخصية عامة تمتلك الموهبة والقدرة على التخلص في المواقف الحرجة ، تساعده وسطيته ، وعدم تعصبه المذهبي ، وترفعه عن صغائر الأمور[٥].

---

(١) انظر : يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه ص ٣٨٦.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٨٣ .

(٣) انظر : يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه ص ٨٨ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٨٣٢ ، ٨٦١ .

(٥) انظر : المرجع السابق ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

وهذه أيضا شهادة عدد ممن حضر مؤتمر نصرة القرضاوي ، الذي أقامه مركز شباب الدوحة ، دفاعا عن الشيخ لما تعرض له في هذه الفترة من هجوم متعمد من كثير من الكتاب والصحفيين :

الدكتور خالد المذكور : إن الشيخ يوسف القرضاوي يمثل منهج الوسطية الإسلامية ، ونحن نواجه هجمة شرسة لا تبقى ولا تذر ، وكما يقولون : إن الوسطية أكثر خطراً وأشد حرباً على الغرب وأمريكا من المتطرفين .

الشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان : عرفت فضيلة الشيخ القرضاوي من خلال كتبه وفكره قبل أن أعرفه شخصياً ، وقد كانت معرفته عن طريق شيوخنا الذين وفدوا إلى السلطنة قبل أربعين عاماً أو أكثر ، وحملوا معهم فقه الشيخ القرضاوى وفكره وكتبه ؛ لا سيما كتاب «الحلال والحرام» ، حيث يقوم منهجه على التأليف لا التنفير ، والتقريب لا الإبعاد ، فهو يمثل الوسطية بين الإفراط والتفريط ، لذا نال الإعجاب من جماهير المسلمين .

الدكتور عصام البشير : إن هذه الحملة تستهدف الشيخ في علمه ووسطيته ومنهجه وسلوكه وشخصه ، وقد استهدفت من قبل الإسلام المتطرف ، وأدركوا أن التطرف قصير الأجل ، فتوجهوا إلى الإسلام المعتدل الذي هو ذو نفس طويل .

الأستاذ فهمي هويدي[1] : إن التهجم على الشيخ القرضاوي وأمثاله ممن رفعوا رايات التنوير والتجديد والوسطية ، هو سنة من سنن الحياة التي ما برح يتصارع فيها الخير والشر منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة .

الدكتور محمد المسفر : إننا نتضامن اليوم مع القرضاوى تضامنا مطلقا ، فيما يتعرض له من هجمات ؛ لأنه يمثل مدرسة الوسطية ، ويعد إمامها في العصر الحديث .

الدكتور طارق السويدان : إن شيخنا يمثل الوجه الحقيقي للإسلام والاعتدال .

الدكتور محمد سليم العوّا : إن الشيخ القرضاوي يمثل عدول هذه الأمة ، وإنه يدفع ضريبة تمثيل الأمة الوسط ، والإعلان عن آرائه .

---

(١) أرسل رسالة مكتوبة قرأها مقدم الحفل في مهرجان «مناصرة القرضاوي» .

كين ليفنستون عمدة لندن : إننا قمنا بإخضاع مؤلفات القرضاوي التي تزيد على (١٤٠) كتاباً[١] ، وكذلك خطبه ومحاضراته ، إلى لجان متخصصة لبحث فكره ، وكانت النتائج التي توصلنا إليها مذهلة ، فقد وجدنا أن فكر الشيخ القرضاوي بعيد كل البعد عن الغلو والتطرف [٢].

مجلة «الجارديان» : لو كان القرضاوي متطرفاً فمن المعتدل؟ إن المسلمين ينظرون إلى القرضاوي باعتباره مثالاً لامعاً على الاعتدال من المنظور الإسلامي .

إن القرضاوي الذي يرأس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث هو أول من بدأ الحديث عن الإسلام الوسطي ، وجميع فتاواه يستقبلها المسلمون في العالم على أنها انعكاس للطبيعة المتوازنة للشريعة الإسلامية ، وعلاقتها بالحياة المعاصرة .

الدكتور عدنان زرزور : لم يعرف العالم بعد الشيخ شلتوت إماماً مجتهداً نجح في التوفيق والتقريب، وكان رائداً في الوسطية ، على منهج التيسير لا التعسير ، والترغيب لا التنفير والترهيب ، مثل الأستاذ العلامة الداعية الشيخ القرضاوي .

عبد السلام البسيوني :

في قصيدة له تحت عنوان «عاجل بشرى المؤمن»[٣] قال :

وابتذل العلمَ الجهلاءُ
وأبدى الحلمَ السفهاءُ
ومدّ الهامَ الصغراءُ
وكنتَ الأعلمَ والأحلمْ
أوَلست حكيمًا عَصْرِيًّا ؟
أوَلستَ فقيهًا وسطيًّا ؟
أوَلست بليغًا عربيًّا ؟[٤]

---

(١) كتب الشيخ الآن قرابة الستين بعد المئة .

(٢) من كلمة سجلتها معه قناة الجزيرة ، وأذيعت في هذا الحفل .

(٣) ألقيت هذه القصيدة في حفل تكريم العلامة القرضاوي بمناسبة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية عن الدراسات الإسلامية . مساء الخميس ١٤١٤/١١/٢٥هـ الموافق ١٩٩٤/٥/٥م .

(٤) راجع الكتيبين اللذين أصدرهما مركز شباب الدوحة ، الأول : في مناصرة القرضاوي ، والثاني في بلوغ الشيخ الثمانين .

أسامة أنور عكاشة[1] :

وهذه رسالة كتبها أسامة أنور عكاشة ، أتابعه على شاشة الجزيرة منذ عامين ، وفي كل مرة أراه وأسمع له أشعر تجاهه باحترام حقيقي . . وأقول لنفسي هذا شيخ ينتمي للعقد الفريد الذي ينتظم فيه كحبات اللؤلؤ أعظم مشايخ الإسلام.. فالشيخ يوسف نمط فريد ليته يكون شائعاً ، فالمأساة الحقيقية هي أنه فريد عزيز التكرار .

هو شيخ لا يصرخ ولا يتشنج . . . ولا يغترب بدينه عن عصره . . . ولا يتعسف وفاقاً بين مبادئه وبين ما يناقضها ادعاء . . ولا يصم أذنيه دون ما يختلف عليه الآخرون . . شيخ لا يلوح بالمقرعة ، ولا يهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور ، ويتورع في رفع راية التكفير ضد مسلم يخالفه ، ولا يكشر عن أنيابه تخويفاً أو إرهاباً . .

هو شيخ يكره التنطع والغلو ، بنفس القدر الذي يكره به الخرافة والتفريط .. ويؤمن بأهم أدبيات الإسلام : أن ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .. ويتبع أهم سنن الرسول الأعظم بعصمة دم المسلم وماله بالشهادة . .

« بشر ... ولا تنفر » هذا ما كنت أستخلصه من أسلوب الشيخ القرضاوي ... في محاوراته حول ما يعرض عليه من أمور الدين والدنيا . .

وأعترف أنني سمحت لنفسي في وقت سابق أن أضلل بما قرأته عن الرجل في بعض الصحف التي اتهمته برعاية الفكر المتطرف . . وهو أمر أعتذر عنه وأشهد أنه ظلم بيّن للشيخ . . فما عرف في جيل رجال الدين الحالي من هو أكثر منه استنارة وتفتحاً [2].

---

(١) الكاتب المصري «أسامة أنور عكاشة»، معروف في الوسط الفني بكتابة المسلسلات والقصص والروايات ، ومن أعماله مسلسل «عمرو بن العاص» وقد تطاول في أحد تصريحاته على سيدنا عمرو بن العاص ، ورفع عليه أحد المحامين المصريين ، قضية ما زالت إلى الآن في أروقة المحاكم .

(٢) انظر : شخصية العام الإسلامية ص١٥٣.

وأخيرا :

وأخيرا فلا يستطيع أحد أن ينكر دور القرضاوي في إبراز الوسطية ، وإيضاح معالمها ، وانتشار مصطلحها ، وترسيخ معالمها ، بين الخاصة والعامة ، وهو بحق في هذا الميدان فارسه .

وهو وإن كان له القدح المعلى في هذا المضمار ، فلا ننكر جهد السابقين قديما من أمثال : الطبري وابن تيمية ، وابن القيم ، والشاطبي . وحديثا من أمثال : محمد محمد المدني ، ورشيد رضا ، ومحمود شلتوت ، محمد عبد الله دراز ، وعبد الرحمن السعدي ، ومحمد قطب ، وسيد قطب ، ومحمد عمارة .

وأحسب أنني ــ في هذه العجالة السريعة ــ أكون قد ألقيت نتفا من الضوء على مشوار القرضاوي مع الوسطية تأليفا وتصنيفا ، وحديثا وتنظيرا ، ويبقى أن يقوم الشيخ بنفسه بشرح معالم الوسطية كما وعد ، والله أسأل أن يطيل في عمره حتى ينهي ما بدأ،وينجز ما وعد،وأن يمتع به،وأن يرزقنا وإياه حسن الخاتمة .... اللهم آمين . آمين .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الصافات: ١٨٠-١٨٢).

* * *

المراجع

● القرآن الكريم .

● كتب التفسير وعلومه .

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، ط دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

٢- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ت : د. محمود أحمد القيسية ، ومحمد أشرف الأتاسي ، مؤسسة النداء أبو ظبي ، ط الأولى ٢٠٠٣م .

٣- الجامع لأحكام القرآن ، الإمام القرطبي ، ط دار الشعب القاهرة ١٣٧٢هـ.

٤- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ .

٥- تفسير القرآن ، محمود شلتوت ، دار الشروق ، ط السابعة ١٩٧٩م .

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري .

٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد ابن علي الشوكاني .

٨- معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي .

٩- تفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي .

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١١- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ط دار الكتب الشرقية ــ تونس .

● كتب الحديث وعلومه .

١٢- صحيح البخاري .

١٣- صحيح مسلم .

١٤- أبو داود .

١٥- سنن النسائي .

١٦- سنن ابن ماجه .

١٧- موطأ مالك .

١٨- البزار .

١٩- مسند أحمد .

٢٠- صحيح ابن حبان .

٢١- أبو يعلى .

٢٢- الطبراني الكبير والأوسط والصغير .

٢٣- المستدرك للحاكم .

٢٤- السنن الكبرى للبيهقي .

٢٥- المصنف لعبد الرزاق .

٢٦- المصنف لابن أبي شيبة .

٢٧- مجمع الزوائد .

٢٨- كنز العمال .

٢٩- مسند الشافعي .

٣٠- الجامع الصغير للسيوطي .

٣١- شرح النووي على صحيح مسلم ، النووي ، ط دار إحياء التراث العربي ١٣٩٢ هـ

٣٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، المباركفوري ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

● **مؤلفات وتصحيحات الألباني وخاصة :**

٣٣- تخريج أحاديث فقه السيرة لمحمد الغزالي .

٣٤- السلسلة الصحيحة .

٣٥- السلسلة الضعيفة .

٣٦- صحيح الجامع الصغير .
٣٧- صحيح سنن الترمذي .
٣٨- صحيح سنن أبي داود .
٣٩- صحيح سنن النسائي .
٤٠- صحيح سنن ابن ماجه .
٤١- ضعيف الجامع الصغير .
٤٢- ضعيف سنن الترمذي .
٤٣- ضعيف سنن ابن ماجه .

● **معاجم .**

٤٣- تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي، ط دار سعاد بيروت، ١٩٦٦م.
٤٤- غريب الحديث، ابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٥.
٤٥- لسان العرب ، ابن منظور ، ط دار صادر بيرت .
٤٦- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط مكتبة لبنان . بيروت ١٩٩٥ .
٤٧- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط دار الجيل بيروت .

● **كتب أخرى :**

٤٨-أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقى، محمد أحمد الراشد، ط دار المحراب
٤٩- الصفدية ، ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم
٥٠- القرضاوي . . . مرتكزات دعوته وجبهاته الدعوية ، أكرم كساب ، مكتبة وهبة ، ط الأولى٢٠٠٧م .
٥١- المنهج الدعوي عند القرضاوي ، أكرم كساب ، مكتبة وهبة ، ط الأولى ٢٠٠٦م .
٥٢- المدخل إلى علم الدعوة ، د : محمد أبو الفتوح البيانوني ، وزارة الأوقاف بقطر ، ط ١٩٩٧م .

٥٣- الموافقات في أصول الشريعة ، الشاطبي ، دار المعرفة بيروت ، ط الثانية ١٩٧٥م .
٥٤- الوسطيَّة في الإسلام ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، مؤسسة الريان بيروت ، ط ١٤١٦هـ .
٥٥- الوسطية في القرآن الكريم ، علي محمد الصلابي ، دار المعرفة بيروت ، الأولى ٢٠٠٥م .
٥٦- الوسطية في الإسلام ، محمد عبد اللطيف الفرفور ، دار النفائس بيروت ، ط الأولى ١٩٩٣م .
٥٧- الوسطية في التربية الإسلامية ، عبد الله بن محمد علي الزهراني ، دار طيبة الخضراء ، ط الأولى ٢٠٠٣م .
٥٨- الوسطية في ضوء القرآن ، ناصر العمر ، ط دار الوطن الرياض ، ١٩٩٣م.
٥٩- تحرير المرأة في عصر الرسالة ، عبد الحليم أبو شقة ، دار القلم الكويت ، ط الأولى ١٩٩٠ .
٦٠- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، دار الشروق .
٦١- مجموع الرسائل ، حسن البنا ، ط دار الدعوة الإسكندرية .
٦٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، ط الأولى السعودية .
٦٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ، ط الثانية ١٩٧٣م .
٦٤- مستقبل الحضارة ، يوسف كمال .
٦٥- معالم المنهج الإسلامي ، د : محمد عمارة ، دار الشروق ط الأولى ١٩٩١م .
٦٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن القيم ، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت .

٦٧- منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط الثالثة ١٩٧٦م

٦٨- وسطية الإسلام وأمّته في ضوء الفقه الحضاري ، عمر بهاء الدين الأميري ، دار الثقافة قطر ١٩٦٠م .

٦٩- وسطية الإسلام ، محمد محمد المدني ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر .

● كتب القرضاوي :

٧٠- أعداء الحل الإسلامي .

٧١- أولويات الحركة الإسلامية .

٧٢- الإسلام حضارة الغد .

٧٣- الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه .

٧٤- الإيمان والحياة .

٧٥- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا .

٧٦- الخصائص العامة للإسلام .

٧٧- الحلال والحرام في الإسلام .

٧٨- الحياة الربانية والعلم .

٧٩- السنة مصدر للمعرفة والحضارة .

٨٠- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها .

٨١- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .

٨٢- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .

٨٣- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد .

٨٤- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي .

٨٥- العبادة في الإسلام .

٨٦- الفتوى بين الانضباط والتسيب .

٨٧- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد .

٨٨- المسلمون قادمون .

٨٩- المسلمون والعولمة .

٩٠- الوسطية ودور الإعلام في إبرازها ، البحث المقدم من الشيخ لندوة (اقرأ) الفقهية الإعلامية الرمضانية(١٤٢٧هـ) ، وهو منشور على موقع الشيخ .

٩١- تفسير سورة الرعد .

٩٢- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق .

٩٣- جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة .

٩٤- جيل النصر المنشود .

٩٥- خطابنا الإسلامي في عصر العولمة .

٩٦- خطب الشيخ القرضاوي .

٩٧- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي .

٩٨- ظاهرة الغلو في التكفير .

٩٩- فتاوى معاصرة .

١٠٠- فقه الجهاد .

١٠١- فقه الزكاة .

١٠٢- فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة .

١٠٣- فقه اللهو والترويح .

١٠٤- في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة .

١٠٥- قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث .

١٠٦- كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها .

١٠٧- كيف نتعامل مع السنة النبوية .

١٠٨- لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر .

١٠٩- مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية .

١١٠- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية .

١١١- مركز المرأة في الحياة الإسلامية .
١١٢- مستقبل الأصولية الإسلامية .
١١٣- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده .
١١٤- نحو فقه ميسر معاصر .
١١٥- نفحات ولفحات .
١١٦- يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه .
١١٧- الشيخ يوسف القرضاوي شخصية العام الإسلامية .

● جرائد وصحف ومواقع إنترنت :

١١٨- جريدة الشرق القطرية ، عدد ٥٠٤٩ .
١١٩- جريدة الشرق القطرية ، عدد ٥٠٢٨ .
١٢٠- جريد الوطن القطرية عدد ١رمضان ١٤٢٨هـ .
١٢١- "www.qaradawi.net" .